فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

المنار

١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام: إن للإسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق

(مصر رجب سنة ١٣٢٥ — آخره الأحد ٨ سبتمبر (أيلول) سنة ١٩٠٧)

باب تفسير القرآن الحكيم

(مقتبس من الدروس التي كان يلقيها في الأزهر الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده رضي الله عنه)

(٩٣ : ٨٧) كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِبَنِي إِسْرَاءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَاءِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ ، قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٩٤ : ٨٨) فَمَنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٩٥ : ٨٩) قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٩٦ : ٩٠) إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ (٩٧ : ٩١) فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ، وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ، وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ •

كان الكلام من أول السورة الى هنا في اثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم مع اثبات التوحيد واستتبع ذلك محاجة أهل الكتاب في ذلك وفي بعض بدعهم وما استحدثوا في دينهم . أما هذه الآيات ففي دفع شبهتين عظيمتين من شبهات اليهود على الاسلام قررهما الاستاذ الامام هكذا

قالوا اذا كنت يا محمد على ملة ابراهيم والنبيين من بعده كما تدعي فكيف تستحل ما كان محرما عليه وعليهم كلحم الابل؟ أما وقد استبحت ما كان محرما عليهم فلا ينبغي لك أن تدعي انك مصدق لهم وموافق في الدين ولا تخص ابراهيم بالذكر وتقول إنك أولى الناس به . هذه هي الشبهة الأولى . وأما الثانية فهي أنهم قالوا ان الله وعد ابراهيم بأن تكون البركة في نسل ولده إسحاق، وجميع الانبياء من ذرية اسحاق كانوا يعظمون بيت المقدس ويصلون اليه فلو كنت على ما كانوا عليه لعظمت ما عظموا ولما تحولت عن بيت المقدس وعظمت مكانا آخر اتخذته مصلى وقبلة وهو الكعبة فخالفت الجميع

فقوله تعالى (كل الطعام كان حلا لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة) هو جواب عن الشبهة الأولى قال الاستاذ الامام ولكن الجلال وكثيرا من المفسرين يقررون الشبهة ولا يبينون وجه دفعها بيانا مقنعا اذ يعترفون بأن بعض الطيبات كانت محرمة على إسرائيل والصواب ما قصه الله تعالى علينا في هذه الآية وغيرها من الآيات التي توضحها وهي أن كل الطعام كان حلالا لبني إسرائيل ولابراهيم من قبل بالاولى ثم حرم الله عليهم بعض الطيبات في التوراة عقوبة لهم وتأديبا كما قال (٤ : ١٦٠ فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم) الآية فالمراد باسرائيل شعب اسرائيل كما هو مستعمل عندهم لا يعقوب نفسه ومعنى تحريم الشعب ذلك على نفسه أنه ارتكب الظلم واجترح السيئات التي كانت سبب التحريم كما صرحت الآية فكأنه يقول اذا كان الاصل في الاطعمة الحل وكان تحريم ما حرم على اسرائيل تأديبا على جرائم أصابوها وكان النبي وأمته لم يجترحوا تلك السيئات، فلم تحرم عليهم الطيبات ؟ ثم قال تعالى مبينا تقرير الدفع وسنده (قل فأتوا بالتوراة

فاتلوها ان كنتم صادقين) في قولكم لا تخافون ان تكذبكم نصوصها . أقول كأنه يقول أما انكم ان جئتم بما عندكم منها لما كان الامر يعدو اقرارا في جاء به من أنها هي حرمت عليكم ماحرمت وعللت جملة التكاليف بأنكم شعب غليظ الرقبة متمرد يقاوم الرب كما قال موسى عند أخذ العهد عليهم بحفظ الشريعة (اقرأ الفصل ٣١ من سفر التثنية) وفي غير ذلك من فصول التوراة

قال الاستاذ الامام أما قول الجلال) وهو ان يعقوب كان به عرق النسا — بالفتح والقصر — فنذر ان شفي لا يأكل لحم الابل فهو دسيسة من اليهود . وقيل انه نذر ان لا يأكل هذا العرق وفي التوراة أن يعقوب التقى بعض أسفاره بالرب في الطريق فتصارعا الى الصباح وكاد يعقوب يغلبه ولكن اله زاده عرق النسا الخ ما هم فوه . أقول ولننقل العبارة كما في سفر التكوين « ٣٢ : ٢٥ ولما رأى انه لا يقدر عليه ضرب حق فخذه فانخلع حق فخذ يعقوب في مصارعته معه ٢٦ وقال أطلقني لانه قد طلع الفجر فقال لا أطلقك ان لم تباركني ٢٧ فقال له ما اسمك فقال يعقوب ٢٨ فقال لا يدعى اسمك فيما بعد يعقوب بل اسرائيل لانك جاهدت مع الله والناس وقدرت ٢٩ وسأل يعقوب وقال أخبرني باسمك فقال لماذا تسأل عن اسمي وباركه هناك ٣٠ فدعا يعقوب اسم المكان فنيئيل (فنئيل) لاني نظرت الله وجها لوجه ونجيت نفسي ٣١ وأشرقت له الشمس اذ عبر فنوئيل وهو يخمع على فخذه ٣٢ لذلك لا يأكل بنو اسرائيل عرق النسا الذي على حق الفخذ الى هذا اليوم لانه ضرب حق فخذ يعقوب على عرق النسا » اه وليس فيه أنه نذر شيئا ولا حرم شيئاً وقيل ان ما حرمه يعقوب هو زائدتا الكبد والكليتين والشحم الا ما كان على الظهر وقال مجاهد حرم لحوم الانعام كلها . وكل ذلك من الاسرائيليات وصحة السند في بعضها عن ابن عباس أو غيره كما زعم الحاكم لا يمنع أن يكون مصدرها اسرائيلي والصواب ما قاله الاستاذ الامام لانه هو الذي تقوم به الحجة لا سيما عند المطلع على التوراة . ولو أريد باسرائيل يعقوب نفسه لما كان هناك حاجة الى قوله « من قبل أن تنزل التوراة » لأن زمن يعقوب سابق على زمن نزول التوراة سبقا لا يشتبه فيه فيحترس عنه . والمتبادر عندي أن المراد بما حرمه

اسرائيل على نفسه ما امتنعوا عن أكله وحرموه على أنفسهم بحكم العادة والتقليد لا بحكم من الله كما يعهد في جميع الامم ومنه تحريم العرب البحائر والسوائب وغير ذلك مما حكاه القرآن عنهم في سورتي المائدة والانعام وقيل ان شبهتهم التي دفعتها الآية هي انكار النسخ فألزمهم بأن التوراة نفسها نسخت بعض ما كان عليه ابراهيم واسرائيل وهو إلزام لا يمكنهم التفصي منه لانه ثابت عندهم في التوراة وهو يدل على نبوة النبي على كل حال اذ أخبرهم بما عندهم ولم يطلع عليه . وبهذا يسقط بحثهم في كون التحليل والتحريم لا يكونان الا من الله

ومن مباحث اللفظ في الآية أن الطعام ما يطعم أن يتناول لأجل الغذاء كما قال الراغب وقد يقال أيضا طعم الماء (بكسر العين) وكان يطلق غالبا على الخبز ومنه قولهم : أكل الطعام مأدوما : وعلى البر ومنه حديث أبي سعيد : كنا نخرج زكاة الفطر صاعا من طعام أو صاعا من شعير الخ متفق عليه . ومن اطلاقه على غيرهما قوله تعالى : ٥ : ٩٦ أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم وللسيارة) وعلى الذبائح أو الصيد قوله (٥ : ٥ وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم) الآية . والحل بالكسر مصدر حل الشيء ضد حرم وهو مستعار من حل العقدة كما قال الراغب . واسرائيل لقب نبي الله يعقوب عليه السلام ومعناه « الامير المجاهد مع الله » وقد علمت ما عندهم في سبب اطلاقه عليه من عبارة سفر التكوين التي ذكرناها آنفا . ثم أطلق على جميع ذريته كما هو شائع في كتب القوم من الأسفار المنسوبة الى موسى فما دونها

(فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك) البيان وإلزام الكاذبين على ابراهيم والأنبياء بالتوراة ودعوتهم الى الاتيان بها وتلاوتها على الملأ وامتناعهم عن ذلك لئلا يظهر ان الله لم يحرم عليهم شيئاً من الطعام قبل التوراة . والاصل في الاشياء الحل حتى يرد النص بالتحريم (فأولئك هم الظالمون) بتحويلهم الحق في المسألة عن وجهه ووضع حكم الله بتحريم بعض الطيبات عليهم في غير موضعه

(قل صدق الله) فيما أنبأني به من عدم تحريم شيء على اسرائيل قبل التوراة وقامت الحجة عليكم بذلك فثبت أنني مبلغ عنه اذ ما كان لي لولا وحيه

أن أعرف صدقكم من كذبكم فيما تحدثون به عن أنبيائكم . واذ كان الأمر كذلك ﴿ فاتبعوا ملة ابراهيم ﴾ التي أدعوكم اليها حال كونه ﴿ حنيفا ﴾ لاغلو فيما كان عليه ولا تقصير ولا افراط ولا تفريط بل هو الفطرة القويمة والحنيفية السمحة المبنية على الاخلاص لله واسلام الوجه له وحده ﴿ وما كان من المشركين ﴾ الذين يطلبون الخير من غيره تعالى أو يخافون الضر من غير أسبابه التي مضت بها سنته

أما قوله عز وجل ﴿ ان أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين ﴾ فهو جواب الشبهة الثانية . وتقريره ان البيت الحرام الذي نستقبله في صلاتنا هو أول بيت وضع معبدا للناس بناه ابراهيم وولده اسماعيل عليهما السلام لأجل العبادة خاصة ثم بنى المسجد الاقصى بيت المقدس بعده بعدة قرون بناه سليمان بن داود عليهما السلام فصح أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم على ملة ابراهيم ويتوجه بعبادته الى حيث كان يتوجه ابراهيم وولده اسماعيل . وهذا هو المعنى الظاهر المتبادر من الآية على قول الاستاذ الامام وهو كاف في ابطال شبهة اليهود على النبي عليه الصلاة والسلام من غير حاجة الى البحث في هذه الأولية هل هي أولية الشرف أم أولية الزمان أو كلاهما والمتبادر انها أولية الزمان بالنسبة الى بيوت العبادة الصحيحة التي بناها الانبياء فليس في الارض موضع بناه الانبياء أقدم منه فيما يعرف من تاريخهم ومايؤثر عنهم . وهذا يستلزم الاولية في الشرف

وذهب بعض المفسرين الى أن الأولية زمانية بالنسبة الى وضع البيوت مطلقا فقالوا ان الملائكة بنته قبل خلق آدم وان بيت المقدس بني بعده بأربعين عاما . قال الاستاذ الامام رحمه الله تعالى اذا صح الحديث فلا شيء في العقل يحيله ولكن الآية لاتدل عليه ولا يتوقف الاحتجاج بها على ثبوته وبيت المقدس المعروف الذي ينصرف اليه الاطلاق قد بناه سليمان بالاتفاق وذلك قبل ميلاد المسيح بنحو ١٠٠٠ سنة : كذا قال رحمه الله تعالى في الدرس والمعروف في كتب القوم انه تم بناؤه سنة ١٠٠٥ قبل الميلاد . والحديث الذي ذكرناه في بناء المسجدين رواه الشيخان من حديث أبي ذر بلفظ الوضع لا البناء قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أول بيت وضع للناس فقال « المسجد الحرام ثم بيت

المقدس » فقيل كم بينهما فقال « أربعون سنة » وأجابوا عما فيه من الاشكال بوجوه منها أن الوضع غير البناء وهو ضعيف لأنه سماه بيتا ولو جعل المكان مسجدا ولم يبن فيه لما سمي بيتا بل مسجدا أو قبلة ومنها أن ذلك مبني على القول بأن ابراهيم هو الذي بنى أول مسجد للعبادة في أرض بيت المقدس وذلك معقول وان لم يكن عندنا فيه نص صحيح وقال ابن القيم ان الذي أسس بيت المقدس يعقوب وانما كان سليمان مجددا له . هذا وان أخبار التاريخ ليست مما يطمأن على أنه دين يقيم والموضوعات المروية في بناء الكعبة كثيرة ولا حاجة الى اضاعة الوقت في ذكرها وبيان وضعها

أما قوله تعالى في البيت (مباركا وهدى للعالمين) فهو بيان لحالة الحسنة الحسية وحالة الشريفة المعنوية . أما الأولى فهي ما أفيض عليه من بركات الارض وثمرات كل شيء على كونه بواد غير ذي زرع فترى الاقوات والثمار في مكة أكثر وأجود وأقل ثمنا منها في مثل مصر وكثير من بلاد الشام . وأما الثانية فهي هوي أفئدة الناس اليه واتيانه للحج والعمرة رجالا وركبانا من كل فج وتولية وجوههم شطره في الصلاة فلا تمر ساعة ولا دقيقة من ليل أو نهار وليس فيها أناس متوجهون الى ذلك البيت الحرام يصلون فأي هداية للعالمين أظهر من هذه الهداية . تلك دعوة ابراهيم (١٤ : ٣٧ ، ربنا اني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ، ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون) وقد أشير الى الوصفين في قوله تعالى حكاية عن المشركين (٢٨ : ٥٧ وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا ، أولم نمكن لهم حرما آمنا تجبى اليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنا ولكن أكثرهم لا يعلمون) وقال بعضهم ان « مباركا » يشمل البركات الحسية والمعنوية وما اخترناه هو المتبادر

ومن مباحث اللفظ في الآية ان (بكة) اسم لمكة كما روي عن مجاهد قيل وعليه الاكثرون وجعلوه من ابدال الميم باء وهو كثير في كلامهم كسمد رأسه وسبده ، وضربة لازم وضربة لازب ، وراتم وراتب ، ونميط ونبيط ،

وقيل بكة اسم المسجد نفسه أو حيث الطواف من التباك أي الازدحام وقيل هو اسم بطن مكة حيث الحرم

﴿ فيه آيات بينات مقام ابراهيم ﴾ أي فيه دلائل أو علامات ظاهرة لاتخفى على أحد أحدها أو منها مقام ابراهيم أي موضع قيامه فيه للصلاة والعبادة تعرف ذلك العرب بالنقل المتواتر . فأي دليل أبين من هذا على كون هذا البيت أول بيت من بيوت العبادة الصحيحة المعروفة في ذلك العهد وضع ليعبد الناس فيه ربهم — وابراهيم أبو الانبياء الذين بقي في الارض أثرهم بحمل النبوة والملك فيهم لايعرف لنبي قبله أثر ولا يحفظ له نسب

وقوله ﴿ ومن دخله كان آمنا ﴾ آية ثانية بينة لايمتري فيها أحد وهي اتفاق قبائل العرب كلها على احترام هذا البيت وتعظيمه لنسبته الى الله حتى ان من دخله يأمن على نفسه لا من الاعتداء عليه وإيذائه فقط بل يأمن أن يثأر منه من سفك هو دماءهم واستباح حرماتهم مادام فيه ، مضى على هذا عمل الجاهلية على اختلافها في المنازع والأهواء والمعبودات [illegible] من الأحقاد والأضغان وأقره الاسلام .

ويرد على إقرار الاسلام لحرمة البيت فتح مكة بالسيف وأجيب عنه بأنها حلت للنبي صلى الله عليه وسلم ساعة من نهار لم تحل لأحد قبله ولن تحل لأحد بعده كما ورد في الحديث وذلك لضرورة تطهير البيت من الشرك وتخصيصه لما وضع له وأقول إن حرمة مكة كلها وما يتبعها من ضواحيها وحلها للنبي (ص) ساعة من نهار أمر زائد على مانحن فيه وهو أمن من دخل البيت والنبي لم يستحل البيت ساعة ولا بعض ساعة وإنما كان مناديه ينادي بأمره : من دخل داره وأغلق بابه فهو آمن ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن ؛ ولما أخبر أبو سفيان النبي صلى الله عليه وسلم بقول سعد بن عبادة حامل لواء الأنصار له في الطريق : اليوم يوم الملحمة اليوم تستحل الكعبة ؛ قال صلى الله عليه وسلم « كذب سعد ولكن هذا يوم يعظم الله فيه الكعبة ويوم تكسى فيه الكعبة » (راجع السير)

وأما فعل الحجاج أخزاه الله فقد قال الاستاذ الامام أنه كان من الشذوذ الذي لاينافي الاتفاق على احترام البيت وتعظيمه وتأمين من دخله ؛ وهذا الجبابرة

مبني على أن أمن من دخل البيت ليس معناه أن البشر يعجزون عن الايقاع به عجزاً طبيعياً على سبيل خرق العادة وإنما معناه انه تعالى ألهمهم احترامه لاعتقادهم نسبته اليه عز وجل وحرم الالحاد والاعتداء فيه ولم يكن الحجاج وجنده يعتقدون حل ما فعلوا من رمي الكعبة بالمنجنيق ولكنها السياسة تحمل صاحبها على مخالفة الاعتقاد، وتوقعه في الظلم والالحاد، وان ما يفعل الآن في الحرم من الظلم والالحاد المشئوم لم يسبق له نظير في جاهلية ولا اسلام. ولا ضرورة ملجئة اليه وانما هي السياسة السوءى قضت بتنفير الناس من أمراء مكة وشرفائها وإبعاد عقلاء المسلمين عنها حتى لا يكون للمسلمين فيها قوة في الدين ولا في العلم والرأي!! وماذا يكون من ضرر هذه القوة؟ يوسوس لهم شيطان السياسة، ان عمران الحجاز وثقة الناس بأمرائه وشرفائه وأمن العقلاء والسروات فيه ربما يكون سبباً في انشاء خلافة عربية فيه. ان كثيراً من أمراء المسلمين ورعاياهم يعدون أن دون أدائهم لفريضة الحج عقبات سياسية لا يسهل اقتحامها وقد جاء في بعض الاخبار ان أمير مصر استأذن السلطان في حج والدته وبعض أمراء [illegible] فلم يأذن. وقد كان الاستاذ الامام يعتقد اعتقاداً جازماً [illegible] يلقي بيده الى التهلكة وأنه لا أمان له في الحرم الذي كان يرى الجاهلي فيه قاتل أبيه فلا يعرض له بسوء وان كاتب هذه السطور يعتقد مثل هذا الاعتقاد. فنسأل الله تعالى أن يحقق لنا ثانية مضمون قوله «ومن دخله كان آمنا» لنمتثل ما فرضه علينا من حج هذا البيت كما يأتي في تتمة الآية فلا نلجأ الى تأويل الأمان بمثل ما أوله به من قال ان المراد به الأمن من العذاب يوم القيامة وقد رد الاستاذ الامام هذا التأويل وقال ما معناه أنه هدم للدين كله فان الأمن هناك انما يكون لأهل التوحيد الخالص والعمل الصالح الذين أقاموا الدين في الدنيا كما امر الله تعالى وما دخول البيت الا بعض أعمال الايمان اذا أخلص صاحبه فيه. أقول ولا تنس في هذا المقام مثل قوله تعالى (٦: ٨٢ الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون) وما رووه في ذلك من الآثار لا ينافي المتبادر المختار، وما أظن ان ذلك يصح عن الامام جعفر الصادق كما قيل

أما قوله تعالى ﴿ ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ﴾ فهو بيان آية ثالثة من آيات هذا البيت جاءت بصيغة الايجاب والفرضية في معرض ذكر مزاياه ودلائل كونه أول بيوت العبادة المعروفة للمعترضين من اليهود على استقباله فهو يفيد بمقتضى السياق معنى خبريا و بمقتضى الصيغة معنى انشائيا وهو وجوب الحج على المستطيع من هذه الأمة . أشار الى ذلك الاستاذ الامام بقوله : هذه الجملة وان جاءت بصيغة الايجاب هي واردة في معرض تعظيم البيت وأي تعظيم أكبر من افتراض حج الناس اليه وما زالوا يحجونه من عهد ابراهيم الى عهد محمد صلى الله عليهما وعلى آلهما وسلم ولم يمنع العرب عن ذلك شركها وانما كانوا يحجون عملا بسنة ابراهيم : يعني أن الحج عمل عام جروا عليه جيلا بعد جيل على انه من دين ابراهيم وهذه آية متواترة على نسبة هذا البيت الى ابراهيم فهي أصح من نقول المؤرخين التي تحتمل الصدق والكذب . وبهذا و بما سبقه بطل اعتراض أهل الكتاب وثبت أن النبي على ملة ابراهيم دونهم

أما الحج فمصدر في أصل اللغة [illegible] وهو بكسر الحاء وبه قرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم وفتحها بقية [illegible] وقيل الفتح لغة الحجاز والكسر لغة نجد . وقد تقدم تفصيل أعماله في تفسير آيات سورة البقرة . وأما استطاعة السبيل فهي عبارة عن القدرة على الوصول اليه وهي تختلف باختلاف الناس في أنفسهم وفي بعدهم عن البيت وقربهم منه وكل مكلف أعلم بنفسه وان كان عاميا من غيره وان كان عالما نحريرا ومازاد الناس اختلاف العلماء في تفسير الاستطاعة الا بعدا عن حقيقتها الواضحة من الآية أتم الوضوح . اذ قال بعضهم ان الاستطاعة صحة البدن والقدرة على المشي وقال بعضهم انها القدرة على الزاد والراحلة واشترطوا فيها أمن الطريق ولم يشترطوا الأمن في أرض الحرم لأنها كانت آمنة قطعا وأما في هذا الزمان فما كل أحد يأمن فيها لا سيما اذا كان منها بالاشتغال بالسياسة وكيف وقد ألقي بعض علمائها في ظلمة السجن مكبلا بالسلاسل والاغلال ولا ذنب له الا انه ألف كتابا أيد فيه التوحيد و بين فساد ما طرأ على

الناس من نزغات الوثنية التي يعبرون عنها بالتوسل بالأولياء . فياليت شعري لو كان مثل الاستاذ أبو اسحق الاسفرايني الذي كان ينكر كرامات الأولياء حيا أ كان يأمن على نفسه اذا أراد الحج وهو المعدود في عصر العلم من أعظم علماء السنة في أصول الدين ؟ وقل مثل هذا في الامام أبي بكر الباقلاني الذي كان يقول في الأرواح بمثل ما يقول جمهور علماء أوربا اليوم من ماديين وغيرهم دع الفرق التي وسمت بالابتداع كالمعتزلة والخوارج والشيعة ولم يكن أهل السنة يكفرون أحدا منهم ولا يعاقبونه على مخالفة الجمهور في بعض الآراء أيام كان قرب جمهور المسلمين من العلم والدين كبعده عنه اليوم

وقال الاستاذ الامام في قوله تعالى « من استطاع اليه سبيلا » انه بيان لموقع الايجاب ومحله واعلام بأن الفرضية موجهة أولا و بالذات الى هذا العمل ولكن الله رحم من لا يستطيع اليه سبيلا والاستطاعة تختلف باختلاف الاشخاص ، ولم يزد على ذلك

وقوله تعالى (ومن كفر فان الله غني عن العالمين) تأكيد لما سبق ووعيد على جحوده وبيان لتنزيه الله تعالى بإزالة ما عساه يسبق الى أوهام الضعفاء عند سماع نسبة البيت الى الله والعلم بفرضه على الناس أن يحجوه من كونه محتاجا الى ذلك . فالمراد بالكفر جحود كون هذا البيت أول بيت وضعه ابراهيم للعبادة الصحيحة بعد اقامة الحجج على ذلك وعدم الاذعان لما فرض الله من حجه والتوجه اليه بالعبادة . هذا هو المتبادر وحمله بعضهم على الكفر مطلقا على انه كلام مستقل لا متمم لما قبله وهو بعيد جدا ، و بعضهم على ترك الحج وهو بعيد أيضا وان دعموه بحديث أبي هريرة مرفوعا « من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا أو نصرانيا » رواه ابن عدي وحديث أبي أمامة عند الدارمي والبيهقي « من لم يمنعه من الحج حاجة ظاهرة أو سلطان جائر او مرض حابس فمات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا أو نصرانيا » ورواه غيرهم باختلاف في اللفظ والروايات كلها ضعيفة الا ماقيل في رواية موقوفة بل عده ابن الجوزي من الموضوعات واعترض عليه لكثرة طرقه وأمثل طرقه المرفوعة ماروي من علي كرم الله وجهه

بلفظ : من ملك زادا وراحلة تبلغه الى بيت الله ولم يحج فلا عليه أن يموت يهوديا أو نصرانيا وذلك لأن الله تعالى قال في كتابه « ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا » الآية رواه الترمذي وقال غريب في اسناده مقال والحارث يضعف وهلال بن عبد الله الراوي له عن أبي اسحق مجهول ؛ وقد قال بعضهم ان تعدد طرق الحديث ترتقي به الى درجة الحسن لغيره كما يقولون في مثله ولا يقدح في ذلك قول العقيلي والدارقطني : لا يصح في هذا الباب شيء : اذ لا تدعي أن هنا شيئا صحيحا . وأشد من ذلك أثر عمر عند سعيد بن منصور في سننه قال : لقد هممت ان أبعث رجالا الى هذه الامصار فينظروا كل من كان له جدة ولم يحج فيضربوا عليهم الجزية ماهم بمسلمين ماهم بمسلمين » واستدل بهذه الروايات على أن الحج واجب على الفور وبه قال كثير من أهل الفقه والأثر والآخرون يقولون انه على التراخي . والاحتياط أن لا يؤخر المستطيع الحج بغير عذر صحيح لئلا يفاجئه الموت قبل ذلك

أقول ان الآية تشتمل على المزايا والآيات لبيت الله الحرام فالمزايا كونه أول مسجد وضع للناس ببكة مباركا وهدى للعالمين ، والآيات مقام ابراهيم وأمن داخله والحج اليه على ما بينا . ويذكر المفسرون هنا خصائص ومزايا أخرى يعدونها من الآيات على تقدير « منها مقام ابراهيم » . ومنهم من قال انها هي الآيات وان قوله « مقام ابراهيم » كلام مستقل قال الرازي : فكأنه قال فيه آيات بينات ومع ذلك هو مقام إبراهيم ومقره والموضع الذي اختاره وعبد الله به : اه ولعل الدافع لهم الى هذا فهمهم أن « مقام ابراهيم » تفسير للآيات وهو مفرد وقد علمت ان ما بعده تابع له في ذلك . ومما يؤيد ذلك محاولة الآخرين أن يجعلوا مقام ابراهيم بمنزلة عدة آيات قال الرازي إن مقام ابراهيم اشتمل على الآيات لأن أثر القدم في الصخرة الصماء آية وغوصه فيها الى الكعبين آية والانة بعض الصخرة دون بعض آية لأنه لان من الصخرة ما تحت قدميه فقط ، وابقاؤه دون سائر آيات الأنبياء عليهم السلام آية خاصة لابراهيم عليه السلام ، وحفظه مع كثرة أعدائه من اليهود والنصارى والمشركين ألوف السنين آية ثبت

أن مقام ابراهيم عليه السلام آيات كثيرة : اه

أقول وقد تقدم في تفسير (٢ : ١٢٥ واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى) أن بعضهم يقول انه مقامه عبارة عن موقفه حيث ذلك الأثر لقدميه وان هذا ضعيف. والكلام هنا في ان مقام ابراهيم مشتمل على ما ذكر من الأثر وهذا هو الصحيح أما الأثر نفسه فقد كانت العرب تعتقد أنه أثر قدمي ابراهيم كما قال أبو طالب في لاميته

وموطئ ابراهيم في الصخر رطبة على قدميه حافيا غير ناعل

وقد يؤخذ من قوله رطبة ان الصخرة كانت عند ما وطئ عليها رطبة لم تتحجر ثم تحجرت بعد ذلك وبقي أثر قدميه فيها وعلى هذا لا يظهر معنى كونه آية الا على الوجه الذي جرينا عليه في تفسير «آيات بينات» دون ماجرى عليه الجمهور من كون الآيات بمعنى الخوارق الكونية . وقد يكون مراده انها كانت رطبة كرامة له (وهو ماجرينا عليه في تفسير القصيدة في المنار — ص ٤٦٥ م ٩) وقال بعضهم ان «مقام» مصدر بمعنى الحج والمراد بمقامات ابراهيم أي ماقام به من المناسك وأعمال الحج، والتعبد وما ذكرناه في موضعه

ومما عدوه من الآيات قصم من يقصده من الجبابرة بسوء كأصحاب الفيل ويرد عليهم ما كان من الحجاج ومن هم شر من الحجاج في هذا الزمان ، وعدم تعرض ضواري السباع للصيود فيه وهذا القول ظاهر الضعف اذ ليس ذلك آية، وعدم نفرة الطير من الناس هناك ويرد عليه ان الطير تألف الناس لعدم تعرضهم لها ولذلك نظائر في الارض ، وانحراف الطير عن موازاته وليس بمتحقق، وكون وقوع الغيث فيه دليلا على الخصب فاذا عمه كان الخصب عاما واذا وقع في جهة من جهاته كان الخصب في تلك الجهة من الأرض ، وهي آية وهمية

ولعمري أن بيت الله غني عن اختراع الآيات والصاقها به مع براءته منها فحسبه شرفا كونه حرما آمنا ومثابة للناس وأمنا ومباركا وهدى للعالمين ومافيه من الآيات التي ذكرها الله واقسامه تعالى به وماورد عن رسوله في حرمته وتحريمه وفضله ككونه لا يسفك فيه دم ولا يعضد شجره ولا يختلى خلاه (أي لا يقطع

بآية) ولا ينفر صيده ولا تعضد شجره ولا تلتقط لقطته وكون قصده مكفرا للذنوب ماحيا للخطايا، وكون العبادة التي تؤدى فيه لا تؤدى في غيره وكون استلام الحجر الاسود فيه رمزا الى مبايعة الله تعالى على اقامة دينه والاخلاص له فيه وكون الصلاة فيه بمئة ألف ضعف في غيره . والاحاديث الواردة في ذلك تطلب من الصحيحين وكتب السنن

(٩٨ : ٩٣) قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ (٩٩ : ٩٤) قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ ، وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ •

أقول لما أقام سبحانه الحجة على أهل الكتاب وبين بطلان شبهاتهم على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ورد لدعواهم أنهم على ملة ابراهيم عليه الصلاة والسلام أمره أن يبكتهم على كفرهم وصدهم عن سبيل الله وابتغائها عوجا وضلالهم بذلك على علم فقال (قل ياأهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله) في بيته الدالة على كونه أول بيت وضع لعبادته وعلى بناء ابراهيم له وتعبده فيه قبل وجود بني اسرائيل وبيت المقدس ، أو بآياته على صحة نبوة محمد واحيائه لملة ابراهيم الذي تعترفون بنبوته وفضله ومنها ما ذكر عن البيت – (والله شهيد على ما تعملون) أي والحال ان الله تعالى مطلع على عملكم هذا وسائر أعمالكم محيط به أفلا تخافون أن يأخذكم به ويجازيكم عليه أشد الجزاء

(قل يأهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن) أي لأي شيء تصرفون من آمن بمحمد (ص) واتبعه عن الايمان وهو سبيل الله الموصلة الى رضوانه ورحمته بما ترقي من عقل المؤمن بالعقائد الصحيحة ومن نفسه بالاخلاق الكريمة والاعمال الصالحة . تصدون عنها بالتكذيب كبرا وحسدا وإلقاء الشبهات الباطلة مكابرة وبغيا والكيد للنبي والمؤمنين بغيا وعدوانا (تبغونها عوجا) أي لم تصدون عنها قاصدين بصدكم أن تكون معوجة في نظر من يؤمن لكم ويغتر

بكيدكم ﴿ وأنتم شهداء ﴾ بأنها سبيل الله المستقيمة لاترون فيها عوجا ولأنتم عارفون بما ورد فيها من البشارات عن الانبياء ويلزم من ذلك أن من صد عنها ضال مضل . وقيل الشهداء في قومكم توصفون فيهم بالعدل وتستشهدون في القضايا . ومن كان كذلك كان أقدر على الصد . وقال الاستاذ الامام المعنى وأنتم شهداء على بقايا الكتاب ومايؤثر عن النبيين فكان من حقكم أن تكونوا أقرب الناس الى معرفة هذه السبيل سبيل الحق والسبق اليها بالايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم

﴿ وما الله بغافل عما تعملون ﴾ من هذا الصد وغيره فهو مجازيكم عليه . فالتذييل تهديد لهم ووعيد وقد جاء بنفي الغفلة لأن صدهم عن الاسلام كان بضروب من المكايد والحيل الخفية التي لا تروج الا على الغافل . كما ختم الآية السابقة بكونه شهيدا على عملهم لأن العمل الذي ذكر فيها هو الكفر وهو ظاهر مشهود فذكر في كل آية مايناسب المقام



نموذج من انجيل برنابا

(الهوامش التي علاماتها حروف مأخوذة من النسخة الطليانية يظهر ان واضعها
يزعم انها لما وافق هذا الانجيل فيه القرآن والهوامش التي علاماتها أرقام بين
أقواس فهي لما وافق فيها العهد العتيق والعهد الجديد وهي من النسخة الانكليزية)

الفصل السادس عشر (٢)

(التعاليم العجيبة التي علمها لتلاميذه بخصوص الارتداد عن الحياة الشريرة)

١ وجمع يسوع ذات يوم « تلاميذه وصعد الى الجبل [(١)] ٢ فلما جلس
هناك دنا منه التلاميذ ففتح فاه وعلمهم قائلا ٣ « عظيمة هي النعم التي أنعم
بها الله [(ت)] علينا فترتب علينا من ثم ان نعبده باخلاص قلب ٤ وكما ان الخمر
الجديدة توضع في أوعية جديدة [(٢)] هكذا يترتب عليكم ان تكونوا رجالا
جدداً اذا أردتم أن تقبلوا التعاليم الجديدة التي تخرج من فمي ٥
الحق أقول لكم كما أنه لا يتأتى للانسان أن ينظر بعينيه السماء والارض
معاً في وقت واحد فكذلك يستحيل عليه ان يحب الله والعالم [(ث)]
٦ لا يقدر رجل أبداً ان يخدم سيدين [(٣)] أحدهما عدو للآخر [(ج)] لانه
اذا أحبك أحدهما ابغضك الآخر ٧ فكذلك أقول لكم حقاً انكم
لا تقدرون ان تخدموا الله والعالم ٨ لان العالم موضوع في النفاق والجشع
والخبث [(٤)] ٩ لذلك لا تجدون راحة في العالم بل تجدون بدلا

(ا) الحمد لله (ب) سورة ترك الدنيا (ت) نعمة الله كبر (ث) مثلا في بني
آدم عينان لكن لا يمكن ان ينظر الى السماء والارض في حالة واحدة وكذلك
لا يمكن ان تجمع محبة الله ومحبة الدنيا في حالة واحدة منه (ج) لا يمكن العبد ان
يخدم سيدين عدو أحدهما لآخر وكذلك لا يمكن ان يخدم العبد الدنيا والله تعالى منه

(١) ت ٥ : ١ (٢) مت ٩ : ١٧ (٣) مت ٦ : ٢٤ ولو ١٦ : ١٣ (٤) ١ يو ٥ : ١٩

منها اضطهاداً وخسارة ١٠ اذاً فاعبدوا الله واحتقروا العالم ١١ إذ متى
تجدون راحة لنفوسكم [(١)] ١٢ اصيخوا السمع لكلامي لاني أكلمكم بالحق
١٣ طوبى للذين ينوحون على هذه الحياة لانهم يتعزون [(٢)]
١٤ طوبى للمساكين [(٣)] الذين يعرضون حقاً عن ملاذ العالم لانهم
سيتنعمون بملاذ ملكوت الله
١٥ طوبى للذين يأكلون على مائدة الله [(٤)] لان الملائكة ستقوم
على خدمتهم
١٦ أنتم مسافرون كسياح ١٧ أيتخذ السائح لنفسه على الطريق قصوراً
وحقولا وغيرها من حطام العالم ١٨ كلا ثم كلا ولكنه يحمل أشياء خفيفة
ذات فائدة وجدوى في الطريق ١٩ فليكن هذا مثلا لكم ٢٠ واذا أحببتم
مثلا آخر فاني أ [illegible]
٢١ « لا تثقلوا قلوبكم بالرغبات العالمية قائلين من يكسونا [(٥)] أو من
يطعمنا ٢٢ بل انظروا الزهور والاشجار مع الطيور التي كساها وغذاها
الله (ا) ربنا بمجد أعظم من كل مجد سليمان ٢٣ والله (ب) الذي خلقكم
ودعاكم الى خدمته هو قادر ان يغذيكم ٢٤ الذي أنزل المن [(٦)] من
السماء (ت) على شعبه اسرائيل في البرية أربعين سنة و حفظ أثوابهم من
ان تعتق أو تبلى [(٧)] ٢٥ أولئك الذين كانوا ستمئة وأربعين ألف رجل [(٨)]
خلا النساء والاطفال ٢٦ الحق أقول لكم ان السماء والارض

(ا) الله رازق وخالق الله سلطان (ب) الله قدير الله رازق (ت) منوا وسلوان ذكرمنه
(١) مت ١١ :٢٩ (٢) مت ٥ :٤ (٣) مت ٥ :٣ (٤) مت ٥ :٦ (٥) مت ٦ :٢٥
(٦) لك ٨ :٣ـ١٦ (٧) تث ٨ :٤ (٨) خر ١٢ :٣٧ عدد ١ :٤٦ و ١١ :٢١

تهنان[1] بيد ان رحمته لا تهن الذين يتقونه[ا] ٢٧ أغنياء العالم هم على رغائبهم جياع وسيهلكون[2] ٢٨ كان غني ازدادت[3] ثروته فقال ماذا أفعل يا نفسي ٢٩ اني اهدم اهرائي لانها صغيرة وأبني أخرى جديدة أ كبر منها فتظفرين بمنالك يا نفسي » ٣٠ انه لخاسر لانه في تلك الليلة توفي ٣١ ولقد كان يجب عليه العطف على المسكين وان يجعل لنفسه اصدقاء من صدقات أموال الظلم في هذا العالم لانها تأتي بكنوز في عالم السماء ٣٢ وقولوا لي من فضلكم اذا وضعتم دراهمكم في مصرف عشار فاعطاكم عشرة اضعاف وعشرين ضعفا أفلا تعطون رجلا كهذا كل ما لكم ٣٣ ولكن الحق أقول لكم انكم مها أعطيتم وتركتم لاجل محبة الله فستردونه مئة ضعف مع الحياة الابدية[ب] ٣٤ فانظروا اذاً كم يجب عليكم ان تكونوا مسرورين في خدمة الله

الفصل السابع عشر (ا)

(عدم ايمان التلاميذ ودين « المؤمن » الصحيح)

١ ولما قال يسوع ذلك اجاب فيلبس انا لراغبون في خدمة الله ولكننا نرغب أيضاً ان نعرف الله[4] لان اشعيا النبي قال « حقاً انك لاله[ت] محتجب[5] ٣ وقال الله لموسى عبده « أنا الذي هو أنا[6] ».

(ا) أقول لك هذا الكلام حتى ينهدم السماء والارض واما من يخاف الله لا ينقطع رحمة الله عليه أبداً منه (ب) أقول لكم الحق ما أعطيتم في سبيل الله من الاشياء اعطى لكم الله في مقابلته ساعة خيرا منه (ت) هنا سورة إخلاص (ث) الله خفي

(١) مر ١٣:٣١ (٢) يع ٥:١ (٣) لو ١٢:١٦ ٢٠ (٤) مت ١٩:٢٩

(٥) يو ١٤:٦ (٦) اش ٤٥:١٥ (٧) خر ٣:١٤

٤ أجاب يسوع يافيلبس ان الله صلاح بدونه لاصلاح ٥ ان الله
موجود بدونه لا وجود ٦ ان الله حياة بدونها لا أحياء(ا) ٧ هو عظيم
حتى انه يملأ الجميع وهو في كل مكان ٨ هو وحده لاند له ٩ لا بداية ولا
نهاية له(ب) ولكنه جعل لكل شيء بداية وسيجعل لكل شيء نهاية(ت)
١٠ لا أب ولا أم له ١١ لا ابناء ولا إخوة ولا عشراء(ث) له ١٢ ولما
كان ليس لله جسم فهو لا يأكل ولا ينام ولا يموت ولا يمشي ولا يتحرك
١٣ ولكنه يدوم الى الابد بدون شبيه(ج) بشري ١٤ لانه غير ذي جسد
وغير مركب وغير مادي وابسط البسائط(ح) ١٥ وهو جواد لا يحب الا
الجود ١٦ وهو مقسط حتى اذا هو قاص أو صفح فلا مرد له ١٧ وبالاختصار
أقول لك يا فيلبس انه لا يمكنك ان تراه وتعرفه على الارض تمام المعرفة
١٨ ولكنك ستراه وتعرفه في ملكه الى الابد حيث يكون قوام سعادتنا ومجدنا
١٩ أجاب فيلبس ماذا تقول يا سيد حقاً انه مكتوب في أشعيا ان الله
أبونا(١) فكيف لا يكون له بنون؟

٢٠ أجاب يسوع انه في الانبياء مكتوب امثال كثيرة لا يجب ان

(ا) الله واحد لا كفء له حق سبحانه وتعالى خيرا لا خير الا هو وكذلك حيوته وثباته منه (ب) الله أزلي الله قديم وباق (ت) لا أول لله ولا آخر له اما خلق لكل شيء أولا وآخرا (ث) الله تعالى لا أب له ولا أم له ولا ولد له ولا أخ له ولا شريك له ولا بدن له لاجل هذا لا يأكل ولا ينام ولا يموت ولا يذهب ولا يتحرك لكن قائم ابداً منزه من كل مخلوقات ولا مركب له ولا يتركب من الاشياء لكن لطيف بالذات منه (ج) الله قائم وباق وسبحان ولطيف وحيم ذو انتقام وغفور منه (ح) الله لا تدركه الابصار منه

(١) أش ٦٣ : ١٦ و٦٤ : ٨

تأخذها بالحرف بل بالمعنى ٢١ لان كل الانبياء البالغين مئة وأربعة وأربعين
ألفا الذين أرسلهم(أ) الله الى العالم قد تكلموا بالمعميات بظلام ٢٢ ولكن
سيأتي بعدي بهاء(١) كل الانبياء والاطهار(ب) فيشرق نورا على ظلمات
سائر ما قال الانبياء ٢٣ لانه رسول الله(ت) ٢٤ ولما قال هذا تنهد يسوع
وقال ٢٥ ارأف بإسرائيل أيها الرب الاله(ث) وانظر بشفقة على ابراهيم
وعلى ذريته لكي يخدموك باخلاص قلب
٢٦ فأجاب تلاميذه ليكن كذلك أيها الرب الاله(ج)
٢٧ وقال يسوع الحق أقول لكم ان الكتبة والعلماء قد أبطلوا
شريعة(٢) الله بنبواتهم(ح) الكاذبة المخالفة لنبوات أنبياء الله(خ) الصادقين
٢٨ لذلك غضب الله على [illegible] هذا الجيل القليل الايمان
٢٩ فبكى تلاميذه [illegible] وقالوا [illegible] يا الله(د) ارأف على الهيكل
والمدينة المقدسة ولا تدفعها الى احتقار الامم لكي لا يحتقروا عهدك
٣٠ فأجاب يسوع وليكن كذلك أيها الرب اله آبائنا(ذ)

(أ) الله مرسل (ب) قال عيسى بن مريم سيجيء من بعدي نور الانبياء والاولياء منه
(ت) رسول الله (ث) الله الرحمن الله كريم (ج) الله سلطان (ح) الله
قهار (خ) اليهود ويحرفون الكلم من بعد مواضعه هذا وبعده النصارى هذا انا
شهيد وهذا الكتاب يحرفون الكلم في الانجيل (د) الله الرحمن (ذ) سلطان
لنا آبائنا

(١) مر ٧ : ١٣ (٢) مر ١٣:٧ (٣) دا ٩ : ١٦

الفصل الثامن عشر (ا)

(يوضح هنا اضطهاد العالم لخدمة الله وان حماية الله تقيهم)

١ وبعد ان قال يسوع هذا قال : « لستم أنتم الذين اخترتموني(١) بل أنا
اخترتكم لتكونوا تلاميذي ٢ فاذا أبغضكم العالم تكونون حقاً تلاميذي(٢)
٣ لان العالم كان دائماً عدو عبيد خدمة الله ٤ تذكروا الانبياء الاطهار الذين قتلهم
العالم ٥ كما حدث في أيام ايليا(ب) اذ قتلت ازابل عشرة آلاف نبي حتى بالجهد نجا
ايليا المسكين وسبعة آلاف من أبناء الانبياء(٣) الذين خبأهم رئيس جيش
أخاب ٦ أواه من العالم الفاجر الذي لا يعرف الله ٧ اذاً لا تخافوا أنتم(٤) لان
شعور رؤوسكم محصاة كي لا تهلك ٨ انظروا العصفور الدوري والطيور الاخرى
التي لا تسقط منها ريشة بدون ارادة الله ٩ أيعتني(ت) الله بالطيور أكثر
من اعتنائه بالانسان الذي لاجله خلق كل شيء؟ ١٠ أيتفق وجود انسان
أشد اعتناء بحذائه منه بابنه ١١ كلا ثم كلا (١٢) أفلا(ث) يجب عليكم
بالأولى ان تظنوا ان الله لا يهملكم وهو المعتني بالطيور ١٣ ولكن لماذا
اتكلم عن الطيور بل لا تسقط ورقة شجرة بدون ارادة الله (ج)

١٤ « صدقوني لاني أقول لكم الحق ان العالم يرهبكم اذا حفظتم
كلامي ١٥ لانه لو لم يخش فضيحة فجوره لما أبغضكم ولكنه يخشى فضيحته

(ا) سورة توكيل (ب) في زمان الياس يقتل اليهود عشرة آلاف أنبياء بغير الحق منه (ت) الله وكيل وحافظ (ث) الله رب (ج) لا يسقط ورق من الشجر الا بارادة الله تعالى منه

(١) يو ١٥ : ١٦ (٢) يو ١٥ : ١٩ (٣) ١ مل ١٨:٤ و١٣ (العدد هناك مئة ولعل ما هنا هو المراد بالي و١ مل ١٩:١٨ (٤) مت ١٠:٢٨-٣٠ ولو ١٢:٥١-٥٧

ولذلك يبغضكم ويضطهدكم (أ) ١٦ فاذا رأيتم العالم يستهين بكلامكم
فلا تحزنوا بل تأملوا كيف ان الله وهو أعظم منكم قد استهان به أيضاً
العالم حتى حسبت حكمته جهالة ١٧ فاذا كان الله يحتمل (ب) العالم بصبر
فلماذا تحزنون أنتم يا تراب وطين الارض ١٨ فبصبركم تملكون أنفسكم (١) ١٩
فاذا لطمكم أحد على خد فحولوا له الآخر ليلطمه (٢) ٢٠ لا تجازوا شراً
بشر (٣) لان ذلك ما تفعله شر الحيوانات كلها ٢١ ولكن جازوا
الشر بالخير (ت) وصلوا لله لاجل الذين يبغضونكم (٤) ٢٢ النار لا تطفأ
بالنار بل بالماء لذلك أقول لكم لا تغلبوا الشر بالشر بل بالخير (٥) ٢٣
انظروا الله (ث) الذي جعل شمسه تطلع على الصالحين والطالحين (٦) وكذلك
المطر ٢٤ فكذلك يجب عليكم ان تفعلوا الخير مع الجميع لانه مكتوب في الناموس
كونوا قديسين لاني انا الهكم قدوس (٧) كونوا أنقياء لاني أنا نقي
وكونوا كاملين لاني أنا كامل (٨) ٢٥ الحق أقول لكم ان الخادم
يحاول ارضاء سيده فلا يلبس ثوباً ينفر منه سيده ٢٦ واثوابكم هي ارادتكم
ومحبتكم ٢٧ احذروا اذاً من ان تريدوا أو تحبوا شيئاً غير مرضي لله (ح)
ربنا ٢٨ اعلموا ان الله يبغض بهرجة وشهوات العالم لذلك ابغضوا أنتم العالم

«١» الدنيا لا تحب عباد الله الاخيار لانها خافت ان يكشف واوشاقيها ، يكشفوا شقاوتها ؟) وتقصد للعباد ان تصيب البلاء والضرر منه «ب» الله صبر «صبور» الله عليم «ت» مثلا لا يدفع النار « بالنار » كذلك لا يدفع الشر « بالشر » منه «ث» الله رازق «ج» الله ولي وقدوس وكامل «ح» يقول الله تعالى في التورية يا بني إسرائيل كونوا ولياً فاني ولي وكونوا طاهرا فاني طاهر وكونوا كاملا فاني كامل منه «خ» الله سلطان

«١» لو ٢١ : ١٩ «٢» مت ٥ : ٣٩ «٣» ١ بط ٣ : ٩ «٤» مت ٥ : ٤٤ ولو ٦ : ٢٨
«٥» رو ١٢ : ٢١ «٦» مت ٥ : ٤٨ «٧» لا ١٩ : ٢ «٨» مت ٥ : ٤٨

حجة الاسلام أبو حامد الغزالي

ان سيرة عظماء الرجال، أبرعون على تربية الاجيال، وقد كان الامام أبو حامد محمد الغزالي من علماء الاسلام المصلحين في أصول الاسلام وفروعه وآدابه اعترف له بذلك العلماء وعدوه من المجددين المشار اليهم بحديث « ان الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مئة سنة من يجدد لها دينها » رواه أبو داود والحاكم في المستدرك والبيهقي في المعرفة من حديث أبي هريرة وعلم عليه في الجامع الصغير بالصحة . وسيأتي ذكر شيء من أقوال الفقهاء والمؤرخين والصوفية فيه . لذلك هممت منذ سنين بأن أكتب في المنار شيئاً عن الرجال العظام ابدأ فيه بملخص سيرته في المنار ولم أوفق إلى ذلك قبل اليوم . وارجو أن يكون فيما أكتبه الآن عبرة لأولي الالباب

أصله ونشأته

هو محمد بن محمد بن محمد بن أحمد أبو حامد الغزالي ذكر له أكثر من ثلاثة آباء وأسماؤهم عربية ولكن نسبه لا يعرف منتهاه فهو امامن العرب الذين تغلغلوا في بلاد الفرس من أول الفتح الاسلامي واما من الفرس الذين غلبت عليهم الاسماء العربية لمراقتهم في الاسلام . وانك لتجد كثيراً ممن يتكلمون في التاريخ يجزمون بنسب العلماء الذين نشأوا ببلاد الفرس في الاسلام فيقولون انهم من الفرس وان فلانا فارسي الاصل والمنشأ حتى ان منهم من يعد أصحاب الانساب العربية المعروفة من الفرس كصاحب القاموس وصاحب الأغاني واضرابهم . ومن أسباب هذا الغلط فيما أرى اشتهار قول ابن خلدون ان أكثر علماء الملة من العجم وهو مخطىء في هذا الحكم ومخطىء فيما علله به . والصواب أن علماء الاسلام الذين نبغوا في بلاد الفرس وغيرها من بلاد الاعاجم منهم العربي كمن ذكرنا آنفا ومنهم العجمي كسيبويه ومنهم المجهول نسبه كأبي حامد الغزالي فيتوقف في مثله حتى يظهر الدليل وقد يستدل على أنه من سلالة عربية بما يأتي في فصل اشتقاق

العلم من بلاغته مع قلة ممارسته لفنون العربية

اما ماينسب اليه الغزالي فقد اختلف فيه وفي ضبطه هل هو بالتخفيف أو التشديد وقد جاء في ترجمة أبي حامد لشارح الاحياء في ذلك مانصه :

« قال صاحب تحفة الارشاد نقلا عن الامام النووي في دقائق الروضة التشديد في الغزالي هو المعروف الذي ذكره ابن الأثير وبلغنا أنه قال منسوب الى غزالة بتخفيف الزاي قرية من قرى طوس : قلت وهكذا ذكره النووي أيضاً في التبيان . وقال الذهبي في العبر وابن خلكان في التاريخ عادة أهل خوارزم وجرجان يقولون القصاري والخباري بالياء فيهما فنسبوه الغزل وقالوا الغزالي ومثل ذلك الشحامي وأشار لذلك ابن السمعاني أيضاً وأنكر التخفيف وقال سألت أهل طوس عن هذه القرية فأنكروها وزيادة هذه الياء قالوا فتأكد وفي تقرير بعض شيوخنا التمييز بين المنسوب الى نفس الصنعة وبين المنسوب الى من كانت صنعته كذلك وهذا ظاهر في الغزالي فانه لم يكن ممن يغزل الصوف ويبيعه [illegible] وذكر في المصباح الفيومي ما يؤيد التخفيف وان غزالة قرية بطوس واليها نسب الامام أبو حامد . قال أخبرني بذلك الشيخ مجد الدين بن محمد بن أبي الطاهر شروان شاه بن أبي الفضائل فخراور ابن عبيدالله بن ست المنا بنت أبي حامد الغزالي ببغداد سنة عشر وسبعمائة وقال لي أخطأ الناس في تثقيل جدنا وانما هو مخفف . وقال الشهاب الخفاجي في آخر شرح الشفا : ويقال انه منسوب الى غزالة ابنة كعب الاحبار وهذا ان صح فلا محيد عنه : والمعتمد الآن عند المتأخرين من أئمة التاريخ والانساب أن القول قول ابن الأثير أنه بالتشديد »

ولد أبو حامد في مدينة طوس من عمل خراسان سنة ٤٥٠ قال ابن السبكي في طبقات الشافعية الكبرى : وكان والده يغزل الصوف ويبيعه في دكانه بطوس فلما حضرته الوفاة وصى به وبأخيه أحمد الى صديق له متصوف من أهل الخير وقال له ان لي لتأسفا عظيما على تعلم الخط وأشتهي استدراك مافاتني في ولدي هذين فعلمهما ولا عليك أن تنفد في ذلك جميع ماأخلفه لهما . فلما مات أقبل

الصوفي على تعليمهما الى أن فني ذلك النزر اليسير الذي خلفه لهما أبوهما وتعذر على الصوفي القيام بقوتهما فقال لهما : اعلما أني قد أنفقت عليكما ما كان لكما وأنا رجل من الفقر والتجريد بحيث لا مال لي فأواسيكما به ، وأصلح ما أرى لكما أن تلجأ الى مدرسة فانكما من طلبة العلم فيحصل لكما قوت يعينكما على وقتكما : ففعلا ذلك وكان هو السبب في سعادتهما وعلو درجتهما . وكان الغزالي يحكي ذلك ويقول « طلبنا العلم لغير الله فأبى أن يكون الا لله » اه

فأنت ترى أن الغزالي نشأ فقيرا وكذلك أكثر النابغين في الأمم والعصور التي لا إلزام فيها بالتعليم والتربية يخرجون من بيوت الفقراء أو من هم على مقربة منهم . والأغنياء يشغلهم الترف والتنعم عن الجد والاجتهاد في العلم لاسيما في تلك الأزمنة التي كان فيها طلب العلم لا يتم الا بالرحلة الى العلماء المشهورين كما ترى فيما يلي وناهيك بما كان في طي المسافات من المشاق

(طلب الغزالي للعلم)

قرأ في صباه طرفا من الفقه الشافعية على أحمد بن محمد الراذكاني في بلده (طوس) ثم سافر الى الامام أبي نصر الاسماعيلي في جرجان وعلق عنه كتاب التعليقة وعاد الى طوس . قال الامام أسعد الميهني فسمعته يقول قطعت علينا الطريق وأخذ العيارون جميع ما معي ومضوا فتبعتهم فالتفت الي مقدمهم وقال ارجع ويحك والا هلكت فقلت له أسألك بالذي ترجو السلامة منه أن ترد علي تعليقتي فقط فما هي بشيء تنتفعون به . فقال لي وما هي تعليقتك ؟ فقلت كتب في تلك المخلاة هاجرت لسماعها وكتابتها ومعرفة علمها . فضحك وقال كيف تدعي انك عرفت علمها وقد أخذناها منك فتجردت من معرفتها و بقيت بلا علم ؟؟ ثم أمر بعض أصحابه فسلم الي المخلاة (قال الغزالي) هذا مستنطق أنطقه الله ليرشدني به في أمري فلما وافيت طوس أقبلت على الاشتغال ثلاث سنين حتى حفظت جميع ما علقته وصرت بحيث لو قطع علي الطريق لم أتجرد من علمي . قال التاج السبكي وقد روى هذه الحكاية عن الغزالي أيضاً الوزير نظام الملك

أقول وفيها من العبرة لمثل طلاب الأزهر ان هذا الإمام العظيم ما وصل الى ما وصل اليه الا بعد أن جعل قصده في طلب العلم أن يكون العلم صفة من صفاته لا أن يفهم ما يأخذه عن العلماء اذا هو قرأه فقط فينبغي لكل طالب علم أن يتلقى العلم لاجل ان يكون له فيه حكم ورأي ولا يكتفي بأن يكون راويا لأقوال العلماء ولو مع الفهم لأن من يفهم علم غيره لا يعد هو عالما الا اذا هو أشرب العلم وصار له فيه فهم خاص يقدر على الاستدلال عليه ودفع معارضة المخالفين عنه، وصار بحيث لو رجع عنه من نقل عنه لا يرجع هو

قال السبكي ثم ان الغزالي قدم نيسابور ولازم إمام الحرمين وجد واجتهد حتى برع على يديه في مذهب الشافعي والخلاف والجدل والأصلين والمنطق وقرأ الحكمة والفلسفة وأحكم كل ذلك وفهم كلام أرباب هذه العلوم وتصدى للرد عليهم وإبطال دعاويهم وصنف في كل فن من هذه العلوم كتبا أحسن تأليفها، وأجاد وضعها وترصيفها، كذا نقل النقلة عنه ولم أر له مصنفاً في أصول الدين بعد شدة الفحص الا أن يكون قواعد العقائد وهو مطوي (كذا)

أقول وفاته كتاب الاقتصاد في الاعتقاد، وظاهر قوله « وقرأ الحكمة والفلسفة » انه لم يقرأها على إمام الحرمين وهو كذلك كما يعلم من كتابه (المنقذ من الضلال) وفيه انه صنف كتبا في الكلام وستأتي عبارته فيه

وقال الزبيدي في ترجمته بعد ان ذكر من مشايخه بطوس أحمد بن محمد الراذكاني وفي جرجان أبا نصر الاسماعيلي وفي نيسابور امام الحرمين وشيخه في التصوف « ومن مشايخه أيضا يوسف النساج وفي الحديث أبو سهل محمد بن أحمد ابن عبيد الله الحفصي المروزي والحاكم أبو الفتح نصر بن علي بن أحمد الحاكمي الطوسي وأبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد الخواري خوار طبران ومحمد بن يحيي ابن محمد السجاعي الزوزني والحافظ أبو الفتيان عمر بن أبي الحسن الرواسي الدهستاني ونصر بن ابراهيم المقدسي على قول الذهبي وقال غيره لم يدركه فهؤلاء شيوخه في العلوم الثلاثة:— يعني الفقه والتصوف والحديث — أقول وهؤلاء الكثيرون الذين سمع منهم الحديث انما سمعه منهم في آخر أمره بعد ان رجع من سياحته —

ثم قال الزبيدي: ولم أطلع على أسماء شيوخه الذين قرأ عليهم في الكلام أو الجدل فان عثرت على شيء بعد ذلك ألحقت به ان شاء الله تعالى . واما علوم الفلسفة فلا شيخ له فيها كما صرح بذلك في كتابه المنقذ من الضلال : اه

أقول انه أخذ الكلام والخلاف عن إمام الحرمين لأنه كان من المبرزين فيهما وما كان الزبيدي أن يغفل عن ذلك . ولم يذكروا شيوخه في الفنون العربية كالنحو والصرف والبيان والأدب ويحتمل انه أخذ عن الراذكاني مع الفقه شيئاً من مبادئها واعتمد بعد ذلك فيها على اشتغاله بنفسه فقد قال عبد الغافر الفارسي خطيب نيسابور وكان من معاصريه انه كان مما يعترض به عليه وقوع خلل من جهة النحو يقع في أثناء كلامه وروجع فيه فأنصف من نفسه واعترف بأنه مامارس ذلك الفن واكتفى منه بما يحتاج اليه في كلامه مع انه كان يؤلف الخطب ويشرح الكتب بالعبارات التي تعجز الأدباء والفصحاء عن أمثالها ، وأذن للذين يطالعون كتبه فيعثرون على خلل فيها من جهة اللفظ أن يصلحوه ويعذروه فما كان قصده الا المعاني وتحقيقها ، دون الألفاظ وتلفيقها : اه كلام عبد الغافر

ونحن نرى أن كلامه في كتبه أعلى من كلام أقرانه أسلوبا وأحسن بيانا وأشد تأثيرا كما تجد فيه الكلام العربي أدق من أفهامهم وذلك منتهى المقصد من الفنون العربية كلها فاذا كان الوصول الى هذا المقصد ممكنا مع الاقلال من الاشتغال بالنحو فلماذا يضيع العاقل الوقت الطويل في قراءة الكفراوي والشيخ خالد والأزهرية والقطر والشذور وابن عقيل والاشموني وحواشي هذه الكتب على ان كتابا منها يكفي الطالب ما لا بد منه من النحو ولعل من فهم الشذور أو ابن عقيل يكون أعلم من الغزالي بنفس النحو فعليه أن يفكر في الطريقة التي يكون بها مع ذلك مثل الغزالي أو على مقربة منه في فهم الكلام العربي الذي وضع النحو لضبطه وللاتيان بالكلام البليغ منه قولا وكتابة ولذلك طريق غير كثرة مزاولة كتب النحو التي يضعف مثلها ملكة اللسان كما قال ابن خلدون فليفكر في ذلك طلاب الأزهر الاذكياء لاسيما من كان منهم عربي اللسان يسهل عليه فهم الكتب البليغة في الأدب والتاريخ وغير ذلك بالممارسة قبل تلقي الفنون .

قال كاتب هذه السطور قرأ كثيرا من هذه الكتب قبل طلب العلم ومنها كتاب إحياء علوم الدين لصاحب السيرة . ولكن هذا لا يتيسر للأعاجم . وقد يستدل بهذا على ان الغزالي من عشيرة عربية بقيت محافظة على أصل لغتها الا مالا تخلو عنه طبيعة المخالطة للأعاجم من التحريف والتحليل الا أن يقال لغة الفرس كافة كانت قد تحولت عربية في ذلك العهد وصار العارف بالفارسية يتلقاها بالتعلم وهذا ما ينكره كثير من العارفين منهم صاحبنا الدكتور محمد مهدي خان فانه يقول ان لغة العامة هناك في القرن الرابع والخامس كانت الفارسية . وقد كان الغزالي يعرف الفارسية وألف فيها ولو كان فارسي الاصل وهو من العامة لكانت لغته الأصلية ومثله لا يصير بليغاً بالعربية الا بعد اشتغال بالفنون طويل فبلاغته وفصاحته وسلامة عبارته من العجمة على كونه من العامة يرجح كونه عربي الاصل فهذا ما رأينا أن نبينه من سيرة حجة الاسلام في تلقي العلم والعبرة فيها للطالبين

﴿ تخرجه وتصديه للافادة ﴾

قلنا أنه اشتغل أولا بطوس وكانت مدينة آهلة بالعلم والعلماء في الحقبة وكان يومئذ مراهقاً ثم في جرجان وكانت فوق طوس في العلم والعمران ثم في المدرسة النظامية بنيسابور أعظم معاهد العلم في خراسان وما زال فيها يختلف الى دروس امام الحرمين علامة ذلك العصر الزاهر حتى تخرج به واشتهر وقد قيل ان شيخه كان يجد منه شيئاً في نفسه وان كان يفتخر به في الملا كما سيأتي . ولما توفي امام الحرمين سنة ٤٧٨ خرج الغزالي الى العسكر وهي محلة بالقرب نيسابور كان يقيم فيها نظام الملك الوزير نصير العلم وكعبة العلماء فحل من مجلس الوزير محل القبول . قال معاصره أبو الحسن عبد الغافر بن اسماعيل الفارسي خطيب نيسابور في ذلك : محمد بن محمد بن محمد أبو حامد الغزالي حجة الاسلام والمسلمين ، امام أئمة الدين ، لم تر العيون مثله لساناً وبياناً ونطقاً وخاطراً ، وذكاء وطبعاً ، أخذ طرفاً في صباه بطوس من الفقه على الامام أحمد الراذكاني ثم قدم نيسابور مختلفاً الى درس امام الحرمين في طائفة من الشبان من طوس وجد واجتهد حتى تخرج في مدة قريبة وبز الأقران، وحمل القرآن ، وصار أنظر أهل زمانه ، وأوحد أقرانه في أيام امام الحرمين .

وكان الطلبة يستفيدون منه ويدرس لهم ويرشدهم ويجتهد في نفسه . وبلغ الأمر به الى أن أخذ في التصنيف . وكان الامام مع علو درجته وسمو عبارته وسرعة جريه في النطق والكلام لا يصغي نظره الى الغزالي سرًّا لا ربانه عليه في سرعة العبارة وقوة الطبع ، ولا يطيب له تصديه للتصانيف وان كان متخرجا به منتسبا اليه كما لا يخفى من طبع البشر ولكنه يظهر التبجح به والاعتداد بمكانه ظاهرا خلاف ما يضمره .

« ثم بقي كذلك الى انقضاء أيام الامام فخرج من نيسابور وصار الى العسكر واحتل من مجلس نظام الملك محل القبول وأقبل عليه الصاحب لعلو درجته وظهور اسمه وحسن مناظرته ، وجري عبارته ، وكانت تلك الحضرة محط رحال العلماء ومقصد الأئمة والفصحاء ، فوقعت للغزالي اتفاقات حسنة من الاحتكاك بالأئمة وملاقاة الخصوم اللد ، ومناظرة الفحول، ومناقدة الكبار ، وظهر اسمه في الآفاق وارتفق بذلك أكمل الارتفاق ، حتى أدت الحال به الى أن رسم المصير الى بغداد للقيام بتدريس المدرسة الميمونة النظامية بها فصار اليها وأعجب الكل تدريسه ومناظرته وما لقي مثل نفسه وصار بعد إمامة خراسان إمام العراق

« ثم نظر في علم الأصول وكان قد أحكمها فصنف فيه تصانيف ، وجدد المذهب في الفقه فصنف فيه تصانيف ، وسبك الخلاف فجدد فيه أيضا تصانيف ، وعلت حشمته ودرجته في بغداد حتى كانت تغلب حشمة الأكابر والأمراء ودار الخلافة فانقلب الأمر من وجه الى آخر » اه المراد من كلام عبد الغافر هنا ومنه تعلم أن رياسة العلوم الظاهرة قد انتهت اليه في سن الشباب حتى كان يوصف بحجة الاسلام وإمام أئمة العصر وهو لم يشتغل بالتلقي عن العلماء الا بضع سنين

أقول إنه تخرج في بضع سنين أخذا مما مر من أنه طلب العلم من أول سن التمييز بل بعد عجز الوصي عليه وعلى أخيه من النفقة عليهما ، ومن قوله في أول كتابه المنقذ من الضلال « ولم أزل منذ راهقت البلوغ قبل بلوغ العشرين الى الآن — وقد أنافت السن على الخمسين — اقتحم لجة هذا البحر » الخ ما سيأتي . وقد علم من كلام معاصره عبد الغافر ومن كلام غيره من المؤرخين أنه تخرج في عهد أستاذه

إمام الحرمين في مدة قليلة وقد توفي امام الحرمين سنة ٤٧٨ وكانت سن الغزالي ٢٨ سنة أي انه كان متخرجا قبل ذلك

غرضنا من هذا التحقيق تنبيه طلاب العلم الى مسألة أرجو اقتناع أذكيائهم بها وهي أن طول مدة الاشتغال بالتلقي والتحصيل قلما يأتي بفائدة بل هي عنوان البلادة وجمود الذهن وخمول النفس ودليل على فساد التعليم وأكثر النابغين من العلماء والحكماء لم يقيموا في معاهد التعليم والتلقي زمنا طويلا · وقد قرر هذه الحقيقة الفيلسوف سبنسر · وقد كان الاستاذ الامام بعد سنوات قليلة يحضر دروس بعض العلماء في علم وبيده كتاب في علم آخر يطالع فيه

﴿ تربية الغزالي لنفسه وتفلسفه وتصوفه ﴾

العلوم والفنون في نفسها صناعات وآلات يستعان بها على اصلاح اللسان والعمل والنفس والعقل فمن طلب فنا منها كان له في طلبه ثلاثة مقاصد — أحدها أن يعرف الفن بحسب ما يقرره الواضعون له والمصنفون فيه اتباعا لهم وتقليدا · ثانيها أن يعرفه كما عرفه الواضعون له تحقيقا واستدلالا بحيث يكون له فيه رأي وحكم لا يبالي فيه وافق الواضعين أو خالفهم وانما يتحرى فيه ما يراه صوابا · ثالثها أن يعرفه ليستعمله فيما وضع له ويجعله وسيلة العمل · وهذا الأخير يجتمع مع كل من الأول والثاني وقد يوجدان بدونه ويوجد ألوف من الصنف المعروف عندنا بصنف العلماء قرؤا الفنون العربية والشرعية وبعض العقلية بالقصد الأول ووجد كثيرون قرأوها بالقصد الثاني وما كان المحصلون لثمراتها من الآخرين فضلا عن الأولين الا الأقلين فكم من عالم بمسائل النحو البلاغة واسع الاطلاع لم يصلح لسانه ولا قلمه فهو عاجز عن الاتيان بالكلام الصحيح، بله البليغ الفصيح، وكم من عالم بأحكام الحلال والحرام، والفضائل والرذائل، فاسد الاخلاق، مرتكب للمحرمات، وكم من عالم بقوانين المنطق يعجز عن تحديد حقيقة، واقامة البرهان على عقيدة، وكم من بارع صناعة الحجة، نحرير في علم الكلام، وهو فاسد الاعتقاد، أو منطو على الالحاد، وان لنا في سيرة حجة الاسلام، أكبر حجة على هؤلاء الاقوام،

شرع أبو حامد في طلب العلم على طريقة أهل المقصد الأول أعني المقلدين فأرشده رئيس العيارين الذين نهبوه متصرفه من جرجان الى الطريقة الثانية طريقة الاستقلال فلم يلبث أن صار اماما في زمن قصير لأن المستقل بنظره يحصل في سنة ما لا يحصله المقلد الذي يأخذ كل ما يلقى اليه بالتسليم في سنين كثيرة. وما كل أحد كالغزالي ترشده كلمة يلقطها قاطع الطريق الى مثل هذه الحقيقة التي يجهلها أكثر المشتغلين بالعلم. وانما يسترشد الناس بالحكمة على قدر استعدادهم وكان استعداد الغزالي في الذروة العليا وقد يقرأ سيرته هذه بطولها وتفاصيلها كثيرون من طلاب العلم في الأزهر وغيره ثم لا يخرجون من ظلمات التقليد الى نور الاستقلال لضعف استعدادهم

لم يرض أبو حامد من العلم بالمقصد الثاني الذي لا يعلو به صاحبه عن مرتبة الصناع بل حاول في كل علم قرأه الوصول الى غايته، والتحقق بحقيقته، فهكذا كان بالعلوم العربية كاتبا بليغا وخطيبا مفوها و بعلوم الكلام والفقه والخلاف حجة على الخصم وركنا للمذهب، وأراد أن يكون على يقين من كل ما يعتقد وان يكون علمه ثمرة عمله، ورأى في نفسه لذلك تربية خاصة ومثل هذا لا يأتي بمعرفة المسائل والدلائل فقط بل لا بد فيه من التربية والمجاهدة وهاك ما كتبه عن نفسه في ذلك ملخصاً من كتابه (المنقذ من الضلال). قال بعد البسملة والحمدلة والتصلية

« أما بعد فقد سألتني أيها الأخ في الدين أن أبث اليك غاية العلوم وأسرارها، وغائلة المذاهب وأغوارها، وأحكي لك ما قاسيته في استخلاص الحق من بين اضطراب الفرق، مع تباين المذاهب والطرق، وما استجرأت عليه من الارتفاع عن حضيض التقليد الى يفاع الاستبصار، وما استفدته أولا من علم الكلام، وما احتويته ثانيا من طرق أهل التعليم القاصرين لدرك الحق على تقليد الإمام وما ازدريته ثالثا من طرق التفلسف، وما ارتضيته آخرا من طريقة التصوف، وما انجلى لي في تضاعيف تفتيشي عن أقاويل الخلق، من لباب الحق، وما صرفني عن نشر العلم ببغداد مع كثرة الطلبة، وما دعاني الى معاودتي بنيسابور بعد طول

المدة » فابتدرت لاجابتك الى مطلبك ، بعد الوقوف على صدق رغبتك ، وقلت مستعيناً بالله ومتوكلا عليه ، ومستوفقاً منه وملتجئاً اليه ،

« اعلموا أحسن الله ارشادكم » وألان للحق قيادكم، أن اختلاف الخلق في الأديان والملل ، ثم اختلاف الأمة في المذاهب على كثرة الفرق، وتباين الطرق، بحر عميق غرق فيه الأكثرون ، وما نجا منه الا الأقلون ، وكل فريق يزعم انه الناجي و « كل حزب بما لديهم فرحون » وهو الذي وعدنا به سيد المرسلين وهو الصادق المصدوق حيث قال « ستفترق أمتي ثلاثا وسبعين فرقة الناجية منها واحدة » (١) فقد كاد ما وعد أن يكون ،

« ولم أزل من عنفوان شبابي وقد أنافت السن على الخمسين أقتحم لجة هذا البحر العميق اقتحام الجسور، لاخوض الجبان الحذور ، وأتوغل في كل مظلمة ، وأتهجم على كل مشكلة ، وأتقحم كل ورطة ، وأتفحص عن عقيدة كل فرقة ، وأستكشف أسرار مذهب كل طائفة ، لا ميز بين محق ومبطل ، ومتسنن ومبتدع ، لاأغادر باطنيا الا وأحب أن أطلع على بطانته ، ولاظاهريا الا وأريد أن أعلم حاصل ظاهريته ، ولا فلسفيا الا وأقصد الوقوف على كنه فلسفته ، ولامتكلما الا وأجتهد في الاطلاع على غاية كلامه ومجادلته ، ولاصوفيا الا وأحرص على العثور على سر صوفيته ، ولا متعبدا الا وأترصد مايرجع اليه حاصل عبادته ، ولا زنديقاً معطلا الا وأتجسس وراءه للتنبه لاسباب جرأته ، في تعطيله وزندقته ،

« وقد كان التعطش الى حقائق الأمور دأبي وديدني ، من أول أمري ، وريعان عمري ، غريزة وفطرة من الله وضعتا في جبلتي ، لاباختياري وحيلتي ، حتى انحلت عني رابطة التقليد ، وانكسرت علي (كذا) العقائد الموروثة ، على قرب عهد بسن الصبا ، اذرأيت صبيان النصارى لايكون لهم نشوء الا على التنصر، وصبيان اليهود لانشوء لهم الا على التهود ، وصبيان المسلمين لانشوء لهم الا على الاسلام ، وسمعت الحديث المروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال « كل مولود يولد على فطرة الاسلام فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه »

(١) رواه أحمد وأبو داود والترمذي والحاكم بألفاظ مختلفة

فتحرك باطني الى طلب حقيقة الفطرة الاصلية ، وحقيقة العقائد العارضة بتقليد الوالدين والاستاذين ، والتمييز بين هذه التقليدات ، وأوائلها تلقينات ، وفي تمييز الحق منها عن الباطل اختلافات ».

« فقلت في نفسي أولا انما مطلوبي العلم بحقائق الأمور فلا بد من طلب العلم بحقائق الأمور فلا بد من طلب حقيقة العلم ما هي فظهر لي ان العلم اليقيني هو الذي ينكشف فيه المعلوم انكشافا لا يبقى معه ريب ولا يقارنه امكان الغلط والوهم ولا يتسع القلب لتقدير ذلك بل الامان من الخطأ ينبغي أن يكون مقارنا لليقين مقارنة لو تحدى بإظهار بطلانه مثلا من يقلب الحجر ذهبا والعصا ثعبانا ، لم يورث ذلك شكا وإنكارا ، فاني اذا علمت أن العشرة أكثر من الثلاثة فقال لي قائل « لا بل الثلاثة أكثر بدليل أني أقلب هذه العصا ثعبانا » وشاهدت ذلك منه لم أشك بسببه في معرفتي ولم يحصل لي منه الا التعجب من كيفية قدرته عليه فأما الشك فيما علمته فلا ، ثم علمت أن كل ما لا أعلمه على هذا الوجه ، ولا أتيقنه هذا النوع من اليقين ، فهو علم لا ثقة به ولا أمان معه ، فليس بعلم يقيني

(القول في مداخل السفسطة وجحد العلوم)

« ثم فتشت عن علومي فوجدت نفسي عاطلا من علم موصوف بهذه الصفة الا في الحسيات والضروريات فقلت الآن بعد حصول اليأس لا مطمع في اقتباس المشكلات الا من الجليات وهي الحسيات والضروريات فلا بد من إحكامها أولا لأتبين أن ثقتي بالمحسوسات وأماني من الغلط في الضروريات من جنس أماني الذي كان من قبل في التقليديات ومن جنس أمان أكثر الخلق في النظريات أم هو أمان محقق لا غدر فيه ولا غائلة له ؟ فأقبلت بجد بليغ أتأمل في المحسوسات والضروريات وأنظر هل يمكنني ان أشكك نفسي فيها فانتهى بي طول التشكك الى أن لم تسمح نفسي بتسليم الامان في المحسوسات أيضا وأخذ يتسع هذا الشك فيها ويقول من أين الثقة بالمحسوسات وأقواها حاسة البصر وهي تنظر الى الظل فتراه واقفا غير متحرك وتحكم بنفي الحركة ثم بالتجربة والمشاهدة بعد ساعة تعرف

أنه يتحرك وأنه لم يتحرك بغتة ودفعة بل على التدريج ذرة ذرة حتى لم تكن له حالة وقوف . وتنظر الى الكوكب فتراه صغيرا في مقدار دينار ثم الأدلة الهندسية تدل على أنه أكبر من الأرض في المقدار

« هذا وأمثاله من المحسوسات يحكم فيها حاكم الحس بأحكامه ويكذبه حاكم العقل ويخونه تكذيبا لاسبيل الى مدافعته . فقلت قد بطلت الثقة بالمحسوسات أيضا فلعله لاثقة الا بالعقليات التي هي من الأوليات كقولنا العشرة أكثر من الثلاثة ، والنفي والاثبات لايجتمعان في الشيء الواحد ، والشيء الواحد لايكون حادثا وقديما موجودا معدوما واجبا محالا

« فقالت المحسوسات : بم تأمن أن تكون ثقتك بالعقليات كثقتك بالمحسوسات وقد كنت واثقا بي فجاء حاكم العقل فكذبني ولولا حاكم العقل لكنت تستمر على تصديقي ، فلعل وراء ادراك العقل حاكما آخر اذا تجلى كذب العقل في حكمه كما تجلى حاكم العقل فكذب الحس في حكمه ، وعدم تجلي ذلك الادراك لايدل على استحالته : فتوقفت النفس في جواب ذلك قليلا وأيدت اشكالها بالمنام وقالت : اما تراك تعتقد في النوم أمورا وتتخيل أحوالا وتعتقد لها ثباتا واستقرارا ولا تشك في تلك الحالة فيها ثم تستيقظ فتعلم انه لم يكن لجميع متخيلاتك ومعتقداتك أصل وطائل فبم تأمن أن يكون جميع ماتعتقده في يقظتك بحس أوعقل هو حق بالاضافة الى حالتك . لكن يمكن أن تطرأ عليك حالة تكون نسبتها الى يقظتك كنسبة يقظتك الى منامك وتكون يقظتك نوما بالاضافة اليها فاذا وردت تلك الحالة تيقنت أن جميع ماتوهمت بعقلك خيالات لاحاصل لها أولعل تلك الحالة ما يدعيها الصوفية أنها حالتهم اذ يزعمون أنهم يشاهدون في أحوالهم اذا غاصوا في أنفسهم وغابوا عن حواسهم أحوالا لاتوافق هذه المعقولات ولعل تلك الحالة هي الموت إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا » (*) فلعل الحياة الدنيا نوم بالاضافة الى الآخرة فاذا مات المرء ظهرت له الأشياء

(*) قال في الدرر المنتثرة هو من كلام علي رضي الله عنه

على خلاف ما شاهده الآن ويقال له عند ذلك (٥٠ : ٢٢ فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد)

« فلما خطرت هذه الخواطر انقدحت في النفس فحاولت لذلك علاجا فلم يتيسر اذ لم يكن دفعه الا بالدليل ولم يمكن نصب دليل الا من تركيب العلوم الأولية فاذا لم تكن مسلمة لم يمكن تركيب الدليل فأعضل هذا الداء ودام قريبا من شهرين أنا فيهما على مذهب السفسطة بحكم الحال ، لا بحكم النطق والمقال ، حتى شفى الله تعالى من ذلك المرض وعادت النفس الى الصحة والاعتدال ورجعت الضروريات العقلية مقبولة موثوقا بها على أمن ويقين ولم يكن ذلك بنظم دليل وترتيب كلام بل بنور قذفه الله تعالى في الصدر وذلك النور (١) هو مفتاح أكثر المعارف فمن ظن أن الكشف موقوف على الأدلة المجردة فقد ضيق رحمة الله الواسعة ولما سئل رسول الله عليه السلام عن الشرح ومعناه في قوله تعالى (٣٩ : ٢٢ أفمن شرح الله صدره الاسلام) قال « هو نور يقذفه الله تعالى في القلب » فقيل وما علامته فقال « التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود » (٢) وهو الذي قال عليه السلام فيه « ان الله تعالى خلق الخلق في ظلمة ثم رش عليهم من نوره » (٣) فمن ذلك النور ينبجس من الجود الالهي في بعض الأحايين ويجب الترصد له كما قال عليه السلام « ان لربكم في أيام دهركم نفحات الا فتعرضوا لها » (٤)

« والمقصود من هذه الحكايات أن يعمل كمال الجد في الطلب حتى ينتهي

---

(١) سنتكلم عن هذا النور في موضع آخر بما يزيده تألقا (٢) رواه الحاكم والبيهقي في الشعب وابن مردويه من حديث ابن مسعود بلفظ آخر في أوله وهو انهم سألوه (ص) عند تلاوة الآية كيف انشراح الصدر فقال « اذا دخل النور القلب انشرح له وانفسح » قالوا فما علامة ذلك يارسول الله فقال « الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور » وهو في الظاهر خلاف الآية فافهم

(٣) رواه احمد والترمذي والحاكم من حديث عبد الله بن عمرو وعلم له في الجامع الصغير بالصحة وتتمته « فمن أصابه ذلك النور يومئذ اهتدى ومن أخطأه ضل »

(٤) رواه الطبراني عن ابن عباس بسند ضعيف

الى طلب مالا يطلب فان الاوليات ليست مطلوبة فانها حاضرة والحاضر اذا طلب فقد واختفى ومن طلب مالا يطلب فلا يتهم بالتقصير في طلب مايطلب

(القول في أصناف الطالبين)

« ولما شفاني الله تعالى من هذا المرض (أي مرض السفسطة) بفضله وسعة جوده انحصرت أصناف الطالبين (أي للحق في الاعتقاد) في أربع فرق المتكلمون وهم يدعون انهم أهل الرأي والنظر، والباطنية وهم يزعمون انهم أصحاب التعليم والمخصوصون بالاقتباس من الامام المعصوم، والفلاسفة وهم يزعمون انهم أصحاب المنطق والبرهان، والصوفية وهم يدعون أنهم خواص الحضرة وأهل المشاهدة والمكاشفة. فقلت في نفسي الحق لا يعدو أصحاب هذه الأصناف الاربعة فهؤلاء هم السالكون سبل طلب الحق فان شذ الحق عنهم فلا يبقى في درك الحق مطمع اذ لا مطمع في الرجوع الى التقليد بعد مفارقته إذ من شرط المقلد أن لا يعلم أنه مقلد فاذا علم ذلك انكسرت زجاجة تقليده وهو شعب لا يرأب وشعث لا يلم بالتلفيق والتأليف الا ان يذاب بالنار ويستأنف لها صنعة أخرى مستجدة. فابتدرت لسلوك هذه الطرق، واستقصاء ما عند هذه الفرق، مبتدئا بعلم الكلام، ومثنيا بطريق الفلسفة، ومثلثا بتعليمات الباطنية، ومربعا بطريق الصوفية ».

هذا ما كتبه الامام الغزالي عن نفسه بعد ان تلقى ما شاء الله من العلم بطريق التقليد زمنا وبطريق الاستقلال زمنا آخر. وقد ذكر بعد ما تقدم فصلا في مقصود علم الكلام وانه حصله وعقله وطالع كتب المحققين فيه وصنف فيه ماشاء أن يصنف قال فصادفته علما وافيا بمقصوده غير واف بمقصودي، وبين أن مقصود علم الكلام حفظ عقيدة أهل السنة وحراستها عن تشويش أهل البدعة وان المتكلمين اعتمدوا على مقدمات تسلموها من خصومهم والجأهم الى التسليم بها وهي التقليد أو الاجماع أو مجرد القبول من القرآن أو الاخبار. قال « وكان أكثر خوضهم في استخراج مناقضات الخصوم ومؤاخذتهم بلوازم مسلماتهم وهذا

قليل النفع في جنب من لا يسلم سوى الضروريات شيئاً أصلا فلم يكن الكلام في حقي كافيا ، ولا لدائي الذي كنت أشكوه شافيا ، نعم لما نشأت صنعة الكلام وكثر الخوض فيه وطالت المدة تشوق المتكلمون الى مجاوزة الذب عن السنة بالبحث عن حقائق الأمور وخاضوا في البحث عن الجواهر والاعراض وأحكامها ولكن لما لم يكن ذلك مقصود علمهم لم يبلغ كلامهم فيه الغاية القصوى فلم يحصل منه ما يمحو بالكلية ظلمات الحيرة في اختلافات الخلق ولا أبعد أن يكون حصل ذلك لغيري بل لست أشك في حصول ذلك لطائفة ولكن حصولا مشوبا بالتقليد في بعض الأمور التي ليست من الاوليات . والغرض الآن حكاية حالي لا الانكار على من استشفى به فان أدوية الشفاء تختلف باختلاف الداء وكم من دواء ينتفع به مريض ويستضر به آخر » اه

القول في الفلسفة

ثم تكلم عن الفلسفة وما يذم منها ويكفر منتحله وما ليس كذلك قال « ثم إني ابتدأت بعد الفراغ من علم الكلام بعلم الفلسفة وعلمت يقينا أنه لا يقف على فساد نوع من العلوم من لا يقف على منتهى ذلك العلم حتى يساوي أعلمهم في أصل العلم ثم يزيد عليه ويجاوز درجته فيطلع على ما لم يطلع عليه صاحب العلم من غور وغائلة فاذ ذاك يمكن أن يكون ما يدعيه من فساده حقاً ولم أر أحداً من علماء الاسلام صرف عنايته وهمته الى ذلك ولم يكن في كتب المتكلمين من كلامهم حيث اشتغلوا بالرد عليهم الا كلمات معقدة مبددة ظاهرة التناقض والفساد لا يظن الاغترار بها بغافل عامي فضلا عمن يدعي دقائق العلوم فعلمت أن رد المذهب قبل فهمه والاطلاع على كنهه رمي في عماية

« فشمرت عن ساق الجد في تحصيل ذلك العلم من الكتب بمجرد المطالعة من غير استعانة باستاذ وأقبلت على ذلك في أوقات فراغي من التصنيف والتدريس في العلوم الشرعية وأنا ممنو بالتدريس والافادة لثلاث مئة نفر من الطلبة ببغداد فأطلعني الله سبحانه بمجرد المطالعة في هذه الاوقات المختلسة على منتهى علومهم في أقل من سنتين ثم لم أزل أواظب على التفكر فيه بعد فهمه قريباً من سنة أعاوده

وأردده واتفقد غوائله وأغواره حتى اطلعت على ما فيه من خداع وتلبيس وتحقيق وتخييل اطلاعا لم أشك فيه »

ثم ذكر أصناف الفلاسفة وأنواع علومهم من رياضيات ومنطقيات وطبيعيات والهيات وسياسيات وخلقيات وبين رأيه فيها وسنذكره · وانتقل من ذلك الى الكلام في مذهب الباطنية

مذهب التعليم وغائله

قال « ثم اني لما فرغت من علم الفلسفة وتحصيله وتفهيمه وتزييف ما زيف منه علمت ان ذلك أيضاً غير واف بكمال الغرض وأن العقل ليس مستقلا بالاحاطة بجميع المطالب ولا كاشفا للغطاء عن جميع المعضلات وكان قد نبغت نابغة التعليمية وشاع بين الخلق تحدثهم بمعرفة معنى الأمور من جهة الامام المعصوم القائم بالحق، عن لي أن أبحث عن مقالاتهم لأطلع على ما في كنانتهم ثم اتفق أن ورد علي أمر جازم من حضرة الخلافة بتصنيف كتاب يكشف عن حقيقة مذهبهم فلم يسعني مدافعته وصار ذلك مستحثا من خارج ضميمة للباعث الأصلي من الباطن

« فابتدأت بطلب كتبهم وجمع مقالاتهم وكان قد بلغني كلماتهم المستحدثة التي ولدتها خواطر أهل العصر لا على المنهاج المعهود من سلفهم فجمعت تلك الكلمات ورتبتها ترتيبا محكما مقارنا للتحقيق واستوفيت الجواب عنها حتى أنكر بعض أهل الحق مني مبالغتي في تقرير حجتهم وقال : هذا سعي لهم فانهم كانوا يعجزون عن نصرة مذهبهم لمثل هذه الشبهات لولا تحقيقك لها وترتيبك إياها ؛ وهذا الانكار من وجه حق فلقد أنكر أحمد بن حنبل على الحارث المحاسبي تصنيفه في الرد على المعتزلة فقال الحارث الرد على البدعة فرض : فقال أحمد نعم ولكن حكيت شبهتهم أولا ثم أجبت عنها فلم تأمن ان يطالع الشبهة من تعلق بفهمه ولا يلتفت الى الجواب ولا يفهم كنهه ؛ وما ذكره أحمد حق ولكن في شبهة لم تنتشر ولم تشتهر · اما اذا انتشرت فالجواب عنها واجب ولا يمكن الجواب الا بعد الحكاية · نعم ينبغي أن لا يتكلف لهم شبهة لم يتكلفوها · ولم أتكلف انا ذلك بل كنت قد سمعت

تلك الشبهة من واحد من أصحابي المخالفين الحق بعد أن كان قد التحق بهم وانتحل مذهبهم وحكى أنهم يضحكون على تصانيف المصنفين في الرد عليهم فانهم لم يفهموا بعد حجتهم فلذلك أوردتها لئلا يظن بي أني وإن سمعتها لم أفهمها فلذلك قررتها. والمقصود أني قررت شبهتهم الى أقصى الامكان ثم أظهرت فسادها » ثم بين ذلك ملخصاً في عدة صفحات وليس بيان ذلك من مقصدنا انما المقصد سيرة هذا الامام وبيان كيفية تربيته لنفسه وثمرة ذلك فيها وفيما قصد اليه من الاصلاح

القول في طريق الصوفية

«ثم اني لما فرغت من هذه العلوم أقبلت بهمتي على طريق الصوفية وعلمت أن طريقتهم انما تتم بعلم وعمل وكان حاصل علمهم قطع عقبات النفس والتنزه عن اخلاقها المذمومة وصفاتها الخبيثة حتى يتوصل بها الى تخلية القلب عن غير الله تعالى وتحليته بذكر الله وكان العلم أيسر علي من العمل فابتدأت بتحصيل علمهم من مطالعة كتبهم مثل قوت القلوب لأبي طالب المكي رحمه الله وكتب الحارث المحاسبي والمتفرقات المأثورة عن الجنيد والشبلي وأبي يزيد البسطامي وغير ذلك من كلام مشايخهم حتى اطلعت على كنه مقاصدهم العلمية وحصلت ما يمكن أن يحصل من طريقتهم بالتعلم والسماع وظهر لي ان أخص خواصهم ما لم يمكن الوصول اليه بالتعلم بل بالذوق والحال وتبدل الصفات فكم من الفرق بين أن يعلم حد الصحة وحد الشبع وأسبابهما وشروطهما و بين أن يكون صحيحا وشبعان وبين أن يعرف حد السكر وأنه عبارة عن حالة تحصل من استيلاء أبخرة تتصاعد من المعدة على معادن الفكر و بين أن يكون سكران بل السكران لا يعرف حد السكر وعلمه وهو سكران وما معه من علمه شيء والصاحي يعرف حد السكر وأركانه وما معه من السكر شيء والطبيب في حالة المرض يعرف حد الصحة وأسبابها وأدويتها وهو فاقد الصحة فكذلك فرق بين أن تعرف حقيقة الزهد وشروطها وأسبابها و بين أن يكون حالك الزهد وعزوف النفس عن الدنيا فعلمت يقينا انهم أرباب أحوال لا اصحاب أقوال وان ما يمكن تحصيله بطريق العلم قد حصلته ولم يبق

الا ما لاسبيل اليه بالسماع والتعلم بل بالذوق والسلوك وكان قد حصل معي من العلوم التي مارستها والمسالك التي سلكتها في التفتيش عن صنفي العلوم الشرعية والعقلية ايمان يقيني بالله تعالى وبالنبوة وباليوم الآخر فهذه الاصول الثلاثة من الايمان كانت رسخت في نفسي لابدليل معين مجرد بل بأسباب وقرائن وتجاريب لاتدخل تحت الحصر تفاصيلها وكان قد ظهر عندي انه لامطمع لي في سعادة الآخرة الا بالتقوى وكف النفس عن الهوى وان رأس ذلك كله قطع علاقة القلب عن الدنيا بالتجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاقبال بكنه الهمة على الله تعالى وان ذلك لايتم الا بالاعراض عن الجاه والمال والهرب من الشواغل والعلائق

ثم لاحظت أحوالي فاذا أنا منغمس في العلائق وقد أحدقت بي من الجوانب ولاحظت أعمالي وأحسنها التدريس والتعليم فاذا أنا فيها مقبل على علوم غير مهمة ولا نافعة في طريق الآخرة ثم تفكرت في نيتي في التدريس فاذا هي غير خالصة لوجه الله تعالى بل باعثها ومحركها طلب الجاه وانتشار الصيت فتيقنت أني على شفا جرف هار واني قد أشفيت على النار ان لم اشتغل بتلافي الاحوال فلم أزل أتفكر فيه مدة وأنا بعد على مقام الاختيار أصمم العزم على الخروج من بغداد ومفارقة تلك الأحوال يوما وأحل العزم يوما وأقدم فيه رجلا وأؤخر عنه أخرى لاتصدق لي رغبة في طلب الآخرة بكرة الا ويحمل عليها جند الشهوة حملة فيفترها عشية فصارت شهوات الدنيا تجاذبني بسلاسلها الى المقام ومنادي الايمان ينادي «الرحيل الرحيل» فلم يبق من العمر الا قليل، وبين يديك السفر الطويل، وجميع ما أنت فيه من العمل والعلم رياء وتخييل، فان لم تستعد الآن للآخرة فمتى تستعد، وان لم تقطع الآن فمتى تقطع؟ فعند ذلك تنبعث الداعية وينجزم العزم على الهرب والفرار ثم يعود الشيطان ويقول هذه حالة عارضة واياك أن تطاوعها فانها سريعة الزوال وان أذعنت لها وتركت هذا الجاه العريض والشان المنظوم الخالي عن التكدير والتنغيص والامر المسلم الصافي عن منازعة الخصوم ربما التفتت اليه نفسك ولا يتيسر لك المعاودة فلم أزل أتردد بين تجاذب شهوات الدنيا ودواعي الآخرة قريبا من ستة أشهر أولها رجب سنة ثمان وثمانين

وأربع مئة وفي هذا الشهر جاوز الامر حد الاختيار الى الاضطرار اذ قفل الله على لساني حتى اعتقل عن التدريس فكنت أجاهد نفسي أن أدرس يوما واحدا تطييباً لقلوب المختلفة وكان لا ينطق لساني بكلمة ولا أستطيعها ألبتة ثم أورثت هذه العقلة في اللسان حزنا في القلب بطل معه قوة الهضم ومرء الطعام والشراب فكان لا ينساغ لي شربة ولا تنهضم لقمة وتعدى الى ضعف القوى حتى قطع الاطباء طمعهم عن العلاج وقالوا «هذا أمر نزل بالقلب ومنه سرى الى المزاج فلا سبيل اليه بالعلاج الا بأن يتروح السر عن الهم الملم» ثم لما أحسست بعجزي وسقط بالكلية اختياري التجأت الى الله تعالى التجاء المضطر الذي لا حيلة له فأجابني الذي يجيب المضطر اذا دعاه وسهل على قلبي الاعراض عن الجاه والمال والاهل والولد والأصحاب وأظهرت عزم الخروج الى مكة وأنا أوري في نفسي سفر الشام حذرا من أن يطلع الخليفة وجملة الأصحاب على عزمي في المقام بالشام فتلطفت بلطائف الحيل في الخروج من بغداد على عزم أن لا أعاودها أبدا واستهدفت لأئمة أهل العراق كافة اذ لم يكن فيهم من يجوز أن يكون الاعراض عما كنت فيه سببا دينيا اذ ظنوا أن ذلك هو المنصب الاعلى في الدين وكان ذلك مبلغهم من العلم ثم ارتبك الناس في الاستنباطات وظن من بعد عن العراق ان ذلك كان لاستشعار من جهة الولاة وأما من قرب من الولاة فكان يشاهد إلحاحهم في التعلق بي والانكار علي واعراضي عنهم وعن الالتفات الى قولهم فيقولون هذا أمر سماوي وليس له سبب الا عين أصابت أهل الاسلام وزمرة العلم

« ففارقت بغداد وفرقت ما كان معي من المال ولم أدخر الا قدر الكفاف وقوت الأطفال ترخصا بأن مال العراق مرصد للمصالح لكونه وقفا على المسلمين فلم أر في العالم ما يأخذه العالم لعياله أصلح منه ثم دخلت الشام وأقمت به قريبا من سنتين لا شغل لي الا العزلة والخلوة والرياضة والمجاهدة اشتغالا بتزكية النفس وتهذيب الاخلاق وتصفية القلب لذكر الله تعالى كما كنت حصلته من علم الصوفية فكنت أعتكف مدة في مسجد دمشق اصعد منارة المسجد طول النهار واغلق بابها على نفسي ثم دخلت منها الى بيت المقدس ادخل كل يوم الصخرة وأغلق

بابها على نفسي ثم تحركت فيّ داعية فريضة الحج والاستمداد من بركات مكة والمدينة وزيارة رسول الله تعالى عليه السلام بعد الفراغ من زيارة الخليل صلوات الله عليه فسرت الى الحجاز

« ثم جذبتني الهمم ودعوات الاطفال الى الوطن فعاودته بعد ان كنت أبعد الخلق عن الرجوع اليه وآثرت العزلة أيضاً حرصاً على الخلوة وتصفية القلب للذكر وكانت حوادث الزمان ومهمات العيال وضرورات المعاش تغير في وجه المراد وتشوش صفوة الخلوة وكان لا يصفو الحال الا في أوقات متفرقة لكني مع ذلك لا أقطع طمعي منها فتدفعني عنها العوائق وأعود اليها »

ودمت على ذلك مقدار عشر سنين وانكشف لي في أثناء هذه الخلوات أمور لا يمكن إحصاؤها واستقصاؤها والقدر الذي أذكره لينتفع به اني علمت يقيناً أن الصوفية هم السالكون لطريق الله تعالى خاصة وان سيرتهم أحسن السير وطريقهم أصوب الطرق وأخلاقهم أزكى الاخلاق بل لو جمع عقل العقلاء وحكمة الحكماء وعلم الواقفين على أسرار الشرع من العلماء ليغيروا شيئاً من سيرهم وأخلاقهم ويبدلوه بما هو خير منه لم يجدوا اليه سبيلا وان جميع حركاتهم وسكناتهم في ظاهرهم وباطنهم مقتبسة من نور مشكاة النبوة وليس وراء نور النبوة على وجه الارض نور يستضاء به وبالجملة فماذا يقول القائلون في طريقة طهارتها وهي أول شروطها تطهير القلب بالكلية عما سوى الله تعالى ومفتاحها الجاري منها مجرى التحريم من الصلاة استغراق القلب بالكلية بذكر الله وآخرها الفناء بالكلية في الله وهذا آخرها بالاضافة الى ما يكاد يدخل تحت الاختيار والكسب من أوائلها وهي على التحقيق أول الطريقة وما قبل ذلك كالدهليز للسالك اليه ومن أول الطريقة تبتدئ المكاشفات والمشاهدات حتى انهم في يقظتهم يشاهدون الملائكة وأرواح الانبياء ويسمعون منهم أصواتاً ويقتبسون منهم فوائد ثم يترقى الحال من مشاهدة الصور والامثال الى درجات يضيق عنها نطاق النطق ولا يحاول معبر أن يعبر عنها الا اشتمل لفظه على خطأ صريح لا يمكنه الاحتراز عنه وعلى الجملة ينتهي الامر الى قرب يكاد يتخيل منه طائفة الحلول وطائفة الاتحاد وطائفة الوصول وكل

ذلك خطاء وقد بينا وجه الخطأ فيه في كتاب المقصد الاقصى بل الذي لابسته تلك الحالة لاينبغي أن يزيد على أن يقول (شعر)

وكان ما كان مما لست أذكره * فظن خيرا ولا تسأل عن الخبر

وبالجملة فمن لم يرزق منه شيئاً بالذوق فليس يدرك من حقيقة النبوة الا الاسم وكرامات الأولياء على التحقيق بدايات الانبياء وكان ذلك أول حال رسول الله عليه السلام حين أقبل الى جبل حراء حين كان يخلو فيه بربه ويتعبد حتى قالت العرب أن محمدا عشق ربه وهذه حالة يتحققها بالذوق من يسلك سبيلها فمن لم يرزق الذوق فيتيقنها بالتجربة والتسامع إن أكثر معهم الصحبة حتى يفهم ذلك بقرائن الأحوال يقينا فمن جالسهم استفاد منهم هذا الايمان فهم القوم لايشقى جليسهم ومن لم يرزق صحبتهم فليعلم امكان ذلك يقينا بشواهد البراهين على ماذكرناه في كتاب عجائب القلب من كتب احياء علوم الدين والتحقيق بالبرهان علم وملابسة عين تلك الحالة ذوق والقبول من التسامع والتجربة بحسن الظن ايمان فهذه ثلاث درجات (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات) ووراء هؤلاء قوم جهال هم المنكرون لاصل ذلك المتعجبون من هذا الكلام يستمعون ويسخرون ويقولون العجب انهم كيف يهذون وفيهم قال الله تعالى (٤٧: ١٦ ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال آنفا أولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهواءهم) اه المراد من كلامه

أقول هذا ما رأينا أن نبين به كيفية نشأة هذا الامام وطلبه العلم وتربيته لنفسه وانا لنحكي فيما يلي ذلك أثر هذا التعليم والتربية يوما استقر عليه رأي الرجل في العلم والدين (لها بقية)

أثارة من التاريخ

بغداد في القرن السادس

وعلماء شيخا الشافعية والحنابلة رضي الدين القزويني وابن الجوزي

قال الكاتب الأديب أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير الكناني الاندلسي البلنسي في رحلته الشهيرة في الفصل الذي أنشأه للكلام عن بغداد :

« هذه المدينة العتيقة وان لم تزل حضرة الخلافة العباسية ، ومثابة الدعوة الامامية القرشية الهاشمية ، قد ذهب أكثر رسمها ، ولم يبق منها الا شهير اسمها ، وهي بالاضافة الى ما كانت عليه قبل إنحاء الحوادث عليها ، والتفات أعين النوائب اليها ، كالطلل الدارس ، والأثر الطامس ، أو تمثال الخيال الشاخص ، فلاحسن فيها يستوقف البصر ، ويستدعي من المستوفز الغفلة والنظر ، الادجلتها التي هي بين شرقيها وغربيها منها كالمرآة المجلوة بين صفحتين ، أو العقد المنتظم بين لبتين ، فهي تردها ولا تظمأ ، وتتطلع منها في مرآة صقيلة لاتصدأ ، والحسن الحريمي بين هوائها ومائها ينشأ ، وهي من ذلك على شهرة في البلاد معروفة موصوفة ، مفتن للهوى منها الا أن يعصم الله مخوفة ،

« وأما أهلها فلاتكاد تلقى منهم الامن يتصنع بالتواضع رياء ، ويذهب بنفسه عجباً وكبرياء ، يزدرون الغرباء ، ويظهرون لمن دونهم الانفة والاباء ، ويستصغرون عمن سواهم الأحاديث والانباء ، قد تصور كل منهم في معتقده وخلده ، ان الوجود كله يصغر بالاضافة لبلده ، فهم لايستكرمون في معمور البسيطة مثوى غير مثواهم ، كأنهم لايعتقدون أن لله بلاداً أوعباداً سواهم ، يسحبون أذيالهم أشراً وبطراً ، ولا يغيرون في ذات الله منكراً ، يظنون أن أسنى الفخار ، في سحب الازار ، ولا يعلمون أن فضله بمقتضى الحديث المأثور في النار ، يتبايعون بينهم بالذهب قرضاً ، وما منهم من يحسن لله قرضاً ، فلا نفقة فيها الا من دينار تقرضه ، وعلى يدي مخسر الميزان تعرضه ، لاتكاد تظفر من خواص أهلها بالورع العفيف ، ولا تقع من أهل موازينها ومكاييلها الاعلى من ثبت له

الويل في سورة التطفيف ، لا يبالون في ذلك بعيب ، كأنهم من بقايا مدين قوم النبي شعيب ، فالغريب فيهم معدوم الارفاق ، متضاعف الإنفاق ، لا يجد من أهلها الا من يعامله بنفاق ، أو يهش اليه هشاشة انتفاع واسترفاق ، كأنهم من التزام هذه الخلة القبيحة على شرط اصطلاح بينهم واتفاق ، فسوء معاشرة أبنائها يغلب على طيب هوائها ومائها ، ويعلل حسن المسموع من أحاديثها وأنبائها

« أستغفر الله الا فقهاءهم المحدثين ، ووعاظهم المذكرين ، لاجرم إن لهم في طريقة الوعظ والتذكير ، ومداومة التنبيه والتبصير ، والمثابرة على الانذار المخوف والتحذير ، مقامات تستنزل لهم من رحمة الله تعالى ما يحط كثيرا من أوزارهم ، ويسحب ذيل العفو على سوء آثارهم ، ويمنع القارعة الصماء أن تحل بديارهم ، لكنهم معهم يضربون في حديد بارد ، ويرومون تفجير الجلامد ، فلا يكاد يخلو يوم من أيام جمعاتهم من واعظ يتكلم فيه ، فالموفق منهم لا يزال في مجلس ذكر أيامه كلها لهم في ذلك طريقة مباركة ملتزمة

« فأول من شاهدنا مجلسه منهم الشيخ الامام رضي الدين القزويني رئيس الشافعية ، وفقيه المدرسة النظامية ، والمشار اليه بالتقدم في العلوم الأصولية ، حضرنا مجلسه بالمدرسة المذكورة إثر صلاة العصر من يوم الجمعة الخامس لصفر المذكور فصعد المنبر وأخذ القراء أمامه بالقراءة على كراسي موضوعة فتوقوا وشوقوا وأتوا بتلاحين معجبة ، ونغمات محرجة مطربة ، ثم اندفع الشيخ الامام المذكور فخطب خطبة سكون ووقار وتصرف في أفانين من العلوم من تفسير كتاب الله عز وجل وايراد حديث رسوله صلى الله عليه وسلم والتكلم على معانيه . ثم رشقته شآبيب المسائل من كل جانب فأجاب وما قصر ، وتقدم وما تأخر ، ودفعت اليه عدة رقاع فيها (١) فجمعها جملة في يده وجعل يجاوب على كل واحدة منها ويلقيها الى أن فرغ منها وحان المساء فنزل وافترق الجمع . فكان مجلسه مجلس علم ووعظ وقورا هينا لينا ظهرت فيها البركة والسكينة ، ولم تقصر عن

١) كذا في الأصل وفي نسخة الاخرى « منها » ولعل الأصل « فيها مسائل — أو — أسئلة » فسقط لفظ مسائل من الناسخ

إرسال عبرتها فيه النفس المشتكية ، ولا سيما آخر مجلسه فإنه سرت حيا وعظه الى النفوس حتى أطارتها خشوعا ، وفجرتها دموعا ، و بادر التائبون اليه سقوطا على يده ووقوعا ، فكم من ناصية جز (١) وكم مفصل من مفاصل التائبين طبق بالموعظة وحز ، فمثل مقام هذا الشيخ تبارك رحم العصاة ، وتتغمد الجناة وتستدام العصمة والنجاة ، والله تعالى يجازي كل ذي مقام عن مقامه ، و يتغمد ببركة العلماء الأولياء عباده العاصين من سخطه وانتقامه ، برحمته وكرمه انه المنعم الكريم لارب سواه ، ولامعبود إلا إياه ،

« وشهدنا له مجلسا ثانيا إثر صلاة العصر من يوم الجمعة الثاني عشر من الشهر المذكور وحضر مجلسه ذلك اليوم سيد العلماء الخراسانية ، ورئيس الأئمة الشافعية ، ودخل المدرسة النظامية بهز عظيم وتطريف آماق (٢) تشوقت له النفوس فأخذ الامام المتقدم الذكر في وعظه مسرورا بحضوره ومتجملا به فأتى بأفانين من العلوم على حسب مجلسه المتقدم الذكر ، ورئيس العلماء المذكور هو صدر الدين الخجندي المتقدم الذكر في هذا التقييد (٣) المشهور المآثر والمكارم ، المقدم بين الأكابر والأعاظم .

« ثم شاهدنا صبيحة يوم السبت بعده مجلس الشيخ الفقيه الامام الاوحد جمال الدين أبي الفضائل بن علي الجوزي بإزاء داره على الشط بالجانب الشرقي وفي آخره على اتصال من قصور الخليفة وبمقربة من باب البصلية آخر أبواب الجانب الشرقي وهو يجلس به كل يوم سبت فشاهدنا مجلس رجل ليس من عمرو ولا زيد ، وفي جوف الفرا كل الصيد ، آية الزمان ، وقرة عين الايمان ، رئيس الحنبلية ، والمخصوص في العلوم بالرتب العلية ، إمام الجماعة ، وفارس حلبة هذه الصناعة ، والمشهور له بالسبق الكريم في البلاغة والبراعة ، مالك أزمة الكلام

---

(١) كان الكاتب في ذلك العصر يجز ناصيته . وأما حز المفصل الذي بعده فهو مجاز (٢) العبارة غير مفهومة ولعل فيها تحريفا أو تصحيفا ولا يبعد أن يكون أصل « تطريف » تطريق بالقاف وأن يكون استعملها بمعنى الاطراق . والخجندي بضم الجيم وفتح الخاء (٣) يريد بهذا التقييد كتاب الرحلة

في النظم والنثر ، والغائص في بحر فك على نفائس الدر ، فأما نظمه فرضي الطباع ، مهياري الانطباع ، واما نثره فيصدع بسحر البيان ، ويعطل المثل بقس وسحبان ،

«ومن أكبر آياته ، وأكبر معجزاته ، انه يصعد المنبر ويبتدئ القراء بالقراءة وعددهم نيف على العشرين قارئا فينتزع الاثنان أو الثلاثة آية من القرآن يتلونها على نسق بتطريب وتشويق فاذا فرغوا تلت طائفة أخرى على عددهم آية ثانية ولا يزالون يتناوبون آيات من سور مختلفات الى أن يتكاملوا قراءة وقد أتوا بآيات مشتبهات لايكاد المتقد الخاطر يحصيها عددا أو يسميها نسقا . فاذا فرغوا أخذ هذا الامام الغريب الشأن في إيراد خطبته عجلا مبتدرا ، وأفرغ في أصداف الاسماع من ألفاظه دررا ، وانتظم أوائل الآيات المقروآت في أثناء خطبته فقرا ، وأتى بها على نسق القراءة لامقدما ولا مؤخرا ، ثم أكمل الخطبة على قافية آخر آية منها . فلو أن أبدع من في مجلسه تكلف تسمية ماقرأ القراء به آية آية على الترتيب لعجز عن ذلك فكيف بمن ينظمها مرتجلا ويورد الخطبة الغراء بها عجلا ، (أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون ؟ ان هذا لهو الفضل المبين) فحدث ولاحرج عن البحر ، وهيهات ليس الخبر كالعيان .

«ثم انه أتى بعد ان فرغ من خطبته برقائق من الوعظ وآيات بينات من الذكر طارت لها القلوب اشتياقا ، وذابت بها الانفس احتراقا ، الى أن علا الضجيج ، وتردد بشهقاته النشيج ، وأعلن التائبون بالصياح ، وتساقطوا عليه تساقط الفراش على المصباح ، كل يلقي ناصيته بيده فيجزها ويمسح على رأسه داعيا له . ومنهم من يغشى عليه فيرفع في الاذرع اليه ، فشاهدنا هولا يملأ النفوس إنابة وندامة ، ويذكرها هول يوم القيامة ، فلو لم نركب ثبج البحر ، ونعتسف مفازات القفر ، الا لمشاهدة مجلس من مجالس هذا الرجل لكانت الصفقة الرابحة ، والوجهة المفلحة الناجحة ، والحمد لله على ان من بلقاء من تشهد الجمادات بفضله ، ويضيق الوجود عن مثله ،

«وفي أثناء مجلسه ذلك يبتدرون المسائل وتطير اليه الرقاع فيجاوب أسرع من طرفة عين . وربما كان أكثر مجلسه الرائق من نتائج تلك المسائل والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء لا إله سواه .

من فيه ، الى أن خاف الاغماء فابتدر القيام ، ونزل عن المنبر دهشاً عجلا ، وقد أطار القلوب وجلا ، وترك الناس على أحر من الجمر ، يشيعونه بالمدامع الحمر ، فمن معلن بالانتحاب ، ومن متعفر في التراب ، فياله من مشهد ما أهول مرآه ، وما أسعد من رآه ، نفعنا الله ببركته ، وجعلنا ممن فاز بنصيب من رحمته ، بمنه وفضله »

ثم ذكر أنه حضر له مجلسا ثالثا وأثنى عليه وفضله على كل من رأى في الحجاز والعراق وفضل وعاظ الشرق على وعاظ الغرب أهل بلاده (الاندلس)

**

العبرة في هذه الأثارة التاريخية من وجوه

أحدها — أن بغداد لما ضعفت مدنيتها ، وتضاءلت العلوم والمعارف فيها ، أعقب ذلك أهلها فسادا في الاخلاق ، وشرها في الارتزاق ، وعجبا بما كان على عهد الآباء ، واحتقارا للغرباء ، وقد كانت في أيام حياتها العلمية تقدر كل أحد قدره حتى كان يجيئها الغريب فيكون رئيس العلماء فيها فيذعنون له ويعترفون بإمامة وهذه سيرة الغزالي حجة الاسلام حجة على ذلك ، فليعتبر بذلك دعاة العصبية الجاهلية بمصر ليعلموا أن هذه العصبية نوع من علامات الموت لا من آيات الحياة ولو كان عند أسلافنا شيء من هذه العصبية لما أصابوا من العلم والمدنية شيئا مما أصابوا

ثانيها — أن الزمن الذي زار فيه بغداد ابن جبير ووصفها فيه بالانحطاط والتأخر عما كانت حتى تمثل فيها بقول أبي تمام « لا أنت أنت ولا الديار ديار » هو الزمن الذي كان فيه من بقايا العلماء فيها مثل رضي الدين القزويني وابن الجوزي فمن لنا الآن بمثلهما وقدس بك التثويب بشيء من فضلهما

ثالثها — أن أكابر العلماء وأئمتهم كانوا لا يزالون يعقدون مجالس الوعظ العامة وقد صار كبار علمائنا في أكثر البلاد يستنكفون عن الوعظ ويعدونه مزريا بهم حتى عم الفساد وعز تلافيه وقد بذل الاستاذ الامام رحمه الله تعالى جهده في إحياء هذه السنة الحسنة سنة الوعظ والتذكير يرغب العلماء فيها بالقول وبما سعى من ترتيب المرتبات لها من الاوقاف ولكن لا تكاد تجد في العلماء من له قلب يبعثه الى العمل وانا لنعلم أنهم يشعرون من أنفسهم بالعجز عن الوعظ النافع ولو وجد الباعث

الغني لأنكن ذلك كثيرون

رابعا — أن وعاظ ذلك العصر كانوا يعظون الناس بالكلام الفصيح المشتمل على الاشارات الى الآيات والأحاديث ووقائع التاريخ (وسننشر في المنار نموذجا من وعظ ابن الجوزي) وكان العوام يفهمون كلامهم ويتعظون به وقد سمعت خبر كثرة التائبين في مجالس الوعظ . أما الآن فقد جهلت اللغة حتى انك لتجد أكثر المتعلمين لا يفهمون الكلام البليغ والأساليب العالية حق الفهم فما بالك بالأميين . فوالهفي على تلك القلوب الرقيقة ، والفطر السليمة ، والسير القويمة ، على أن ضعف الفاعل ، قد صار أشد من ضعف القابل ، فالعوام لا يزالون يفهمون بالاجمال من الواعظ المحسن الذي يتحرى السهولة ويراعي درجة استعدادهم ما يتعظون به ويتذكرون ولكن لا نكاد نجد هذا الواعظ في الخاصة لا لسبب الا لعدم اهتمامهم بأمر العامة وغيرتهم على الدين . وقد جربنا وعظ العامة فلم نعدم فرأينا من الاستعداد ما نجزم معه بأن إحياء سنة الوعظ تحيي الدنيا وتصلح الأخلاق في زمن قليل

خامسا — ان الخلفاء والسلاطين كانوا في ذلك العصر يهتمون بسماع الوعظ الذي يلقى على العامة مع شدة ما أحدثوا من التحجب الذي كان من أسباب زوال سلطتهم واختلال أمر الامة بكثرة السلاطين المستبدين فأين ذلك من ملوك وأمرائنا اليوم وسلطان المغرب الاقصى يعتقد كما يعتقد الجمهور من خاصته انه اذا قرئ تفسير القرآن في بلادهم يموت السلطان !! أفيرجى بقاء مملكة يعتقد خواصها هذه الخرافة وما هي الا واحدة من ألوف من خرافاتهم ، وأما الأمراء المتفرنجون ، فلهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون ، وبها مشغولون ، فماذا تقول في نساء الملوك والأمراء وعدم سماعهم شيئا من أمر الدين

وقد يقول قارئ تلك الأثارة ان ابن جبير ذكر من فساد أخلاق أهل بغداد ما ذكر ثم ماعتم ان ذكر ان الذين يتوبون منهم في كل مجلس وعظ كثيرون فقد ناقض نفسه . ونجيب عن ذلك بأن الذين كانوا يسمعون الوعظ لم يكونوا كلهم من أهل بغداد نفسها بل كان فيهم كثيرون من الضواحي والقرى القريبة

بل كانت الرواحل تشد الى امثال هؤلاء الوعاظ من الآفاق البعيدة كما يعلم من التاريخ على أن كثرة التائبين والصالحين في بلد عظيم كبغداد لا ينافي كون العصاة فيها أكثر أو كون المعاصي فاشية فيها



فتاوى المنار

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة، اذ لا يسع الناس عامة، ونشترط على السائل أن يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك أن يرمز الى اسمه بالحروف إن شاء، وإننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا وربما قدمنا متأخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا، ولمن مضى على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله

﴿ س٤٤ عن هلال الصوم والفطر من سواكن (السودان) ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي مستجدا بعده

حضرة الاستاذ الفاضل رب العلوم ومعدن الفهوم الحسيب النسيب السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار الغراء حفظه الله وتولاه

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته أما بعد فقد اشكلت علينا مسئلة منذ أعوام وكثر الهرج لاجلها فأحببت ان أقدمها لجنابكم سائلا حلها واجابتي عنها جوابا شافيا وافيا على صفحات المنار ليهتدي كل من استهدى به . وذلك عند حلول رمضان واثبات الصوم أو الفطر حتى افترق أهل البلدة ثلاث فرق واليك بيانهم بالتفصيل

(الفرقة الاولى) تحتج بظهور هلال رمضان أو الفطر عيانا في قطرها وثبوته بالتواتر كما هو محرر بالكتب الفقهية فاذا ثبت هلاله صامت وكذا افطرت واذا غم أكملت عدة شعبان ثلاثين يوما وهؤلاء هم فقهاء البلدة ومشايخهم

(الفرقة الثانية) تستند في صومها وافطارها على قنابل الحكومة المطلقة ايذانا بحلول رمضان أو الفطر محتجة بأن هذه القنابل لا تطلق الا باذن شيخ الاسلام

بعد ثبوت هلال الشهر لديه ويصل الى البلاد الأخرى على لسان البرق

(الفرقة الثالثة) تعول في صومها وافطارها على قاعدة منسوبة للامام جعفر الصادق «رض» وهي في كتاب عجائب المخلوقات للقزويني ونصها « قال جعفر الصادق «رض» اذا أشكل عليك أول شهر رمضان فعد الخامس من الشهر الذي صمته في العام الماضي فانه أول يوم من شهر رمضان الذي في العام المقبل وقد امتحنوا ذلك خمسين سنة فكان صحيحا » اه من عجائب المخلوقات

فارجو الاستاذ افادتي عن المسئلة هذه مبينا وجه الحق في الاتباع وأرجو ان لاتحيلونا على مامضى اذا سبق في هذا الموضوع جواب ليحق الله الحق ويخرجنا من ظلمة التقليد بساطع أنوار الحق التليد والسلام م؟ كتبه الفقير

٢٣ جمادى الآخرة سنة ١٣٢٥ عبد القادر ملاقلندر البخاري

(ج) كتبنا في باب الاخبار النبوية الواردة في الصيام فصلا فيما يثبت به الصيام والفطر هذا نصه (ص٨١٤م١٠) وعدد الاحاديث فيه تابع لما قبله

﴿ فصل فيما يثبت به الصيام والفطر ﴾

(٧) جاء اعرابي الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال اني رأيت الهلال رمضان فقال : « أتشهد أن لا اله الا الله » ؟ قال نعم قال « أتشهد أن محمدا رسول الله » ؟ قال نعم - قال « يا بلال أذن في الناس أن يصوموا غدا » رواه الشيخان واصحاب السنن عن عكرمة عن ابن عباس . وفي رواية لأبي داود فأمر بلالا فنادى في الناس أن يصوموا وان يقوموا . وفي حديث آخر عند أبي داود أن النبي عليه السلام اكتفى مرة بشهادة ابن عمر في الصيام . وهو حجة على ثبوت الصوم بشهادة رجل واحد

(٨) عن ربعي بن خراش عن رجل من اصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : اختلف الناس في آخر يوم من رمضان فقدم اعرابيان فشهدا عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالله لأهلاّ الهلال أمس عشية فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الناس أن يفطروا . رواه أحمد وأبو داود وزاد في رواية . وان يغدوا الى مصلاهم

(٩) قال صلى الله عليه وآله وسلم : « اذا رأيتموه فصوموا واذا رأيتموه فافطروا فان غم عليكم فاقدروا له » رواه الشيخان والنسائي وابن ماجه من حديث ابن عمر . وفي رواية للبخاري وغيره « الشهر تسع وعشرون ليلة فلا تصوموا حتى تروه فان غم عليكم فاكملوا العدة ثلاثين » وفي رواية لمسلم وغيره « الشهر هكذا وهكذا » وأشار بالعقد الى ٢٩ و ٣٠ وفي لفظ الشيخين « صوموا لرؤيته فان غبي عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين » وظاهر ان الكلام في رؤية الهلال وعدمها . ومعنى اقدروا له احسبوا وقدروا يقال قدره (من بابي ضرب ونصر) واقدره وقدر له وغبي هنا بمعنى غم في الروايات الاخرى أي لم يظهر . والاحاديث نص في أن العبرة برؤية الهلال لا بحساب الحاسبين وتقاويم المنجمين وذلك ان هذا الدين عام للبدو والحضر فوجب أن تكون مواقيت عباداته معروفة عند عامة المكلفين ، غير مخصوصة بطائفة الحاسبين وجاء في بعض الروايات « وانسكوا له » فمواقيت الحج تعرف برؤية الهلال أيضا

(١٠) عن كريب أن أم الفضل بعثته الى معاوية بالشام (قال) فقدمت فقضيت حاجتها واستهل علي رمضان وأنا بالشام فرأيت الهلال ليلة الجمعة ثم قدمت المدينة في آخر الشهر فسألني عبدالله بن عباس ثم ذكر الهلال : متى رأيتم الهلال؟ فقلت رأيناه ليلة الجمعة فقال : أنت رأيته ؟ فقلت نعم ورآه الناس وصاموا وصام معاوية فقال : ولكنا رأيناه ليلة السبت فلا نزال نصوم حتى نكمل ثلاثين أو نراه . فقلت : ألا تكتفي برؤية معاوية وصيامه ؟ قال : لا — هكذا أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : رواه أحمد ومسلم وأصحاب السنن الاربعة . الاظهر ان المشار اليه بقوله « هكذا أمرنا رسول الله » هو قوله « ولكنا رأيناه ليلة السبت » الخ فانه هو المنطوق الموافق المروي وقيل انه أشار الى مايفهم من قوله من عدم اعتداد أهل بلد برؤية أهل بلد آخر وهو غير مروي في المرفوع ولا هو مصرح به فتكتفي روايته فالراجح اذاً حمل قوله على المروي المعروف . وقد اختلف علماء السلف في المسألة فقيل يعتبر كل أهل بلد رؤيتهم بعدت البلاد أو قربت وقيل لا يلزم أهل بلد العمل برؤية أهل بلد آخر الا اذا ثبت عند الامام الاعظم فيلزمه لان حكمه

أقد في جميع البلاد وقيل ان تقاربت البلاد كان حكمها واحد وان تباعدت فعلى كل برؤيته واختلفوا في حد البعد فبعضهم ناطه باختلاف المطالع وهو الوجه العلمي وبعضهم ناطه بمسافة القصر وهو قياس فقهي وقد رجح النووي وغيره من الشافعية كل واحد من القولين وقطع بكل منهما جماعة من الفقهاء

ونقول اذا اختلفت الرؤية في البلاد المتقاربة فان كان هناك حاكم شرعي ورجح شهادة وبلغها الناس وجب ان يعتمدوا عليها ولا يلتفتوا الى رؤية الآخرين لينضبط الامر ولا يكونوا فوضى في اقامة ركن من أركان دينهم هذا صائم وهذا مفطر، وان اختلفت في البلاد المتباعدة فهناك النظر والاجتهاد وقد رأيت ان بعضهم اعتبر البعد باختلاف مطالع القمر وبعضهم اعتبره بمسافة القصر والاول يستلزم تحكيم علماء الفلك وقد ذكرنا ان غرض الشرع ان يجعل ما تعرف به مواقيت العبادة عاما يعرفه العوام والخواص حتى لا يتحكم الكبراء في المسائل الدينية كما فعلوا في الامم السالفة والثاني يمكن أن يتجه لورود حديث يذكر فيه اختلاف الحكم ببعد البلاد فيقال جعلت مسافة القصر هي الحد الذي تختلف به الاحكام. وهناك وجه آخر في البعد والقرب ربما كان أجدر بالاعتبار وهو ان البلاد المتصلة التي بين أهلها امتزاج وتعامل كالبلاد المصرية كلها تعد بلادا متقاربة ولا ينبغي ان يكون بعض أهلها مفطرا وبعضهم صائما بحجة اختلاف الرؤية فاذا ثبتت الرؤية في بعضها يصوم الجميع والا أكملوا عدة شعبان ثلاثين وصاموا متفقين وما يفعلونه الآن في الاقطار الاسلامية من الاثبات في مكان واعلام الآخرين بحسن في ذاته وغير حسن ما يحتف به من البدع. وأما البلاد التي لا صلة بينها قريبة سهلة ولا تعامل بينها الا بمهاجرة بعض أهلها من احداها الى الاخرى فلا بأس باعتبار كل ما يثبت عنده ومن تيسر اعلام كل قطر الآخر بنبأ البرق الذي يؤمن تزويره ولو كان للمسلمين امام أعظم ينفذ حكمه الشرعي في جميع بلادهم وتيسر له اعلامهم بما ثبت عنده من الرؤية وصاموا لذلك لكان له وجه من الحسن واتجه قال ابن الماجشون. اهـ ما في الجزء السادس وقد سقط من آخره شيء. وأصله "واتجه ما قاله ابن الماجشون من أنه لا يلزم أهل بلد رؤية غيرهم الا أن يثبت ذلك عند الامام الاعظم لأن البلاد في حقه كالبلد الواحد

لنفوذ حكمه فيها » وجملة القول أن العبرة بالرؤية او اكمال العدة فاذا ثبتت عند الحاكم وأعلم بها الناس عملوا بإعلامه

سؤالان أو أسئلة من « جاوه »

عتق جميع العبيد والاذن بتزويج المعتوقات

أرسل اليّ بعض أهالي سليبس هذان السؤالان والتمس مني ارسالهما اليكم لكي تنشروهما في المنار مع الجواب وهما الاول في الاعتاق والاذن بالتزويج بصيغة الجمع (س ٤٥ و٤٦) أنه لما استولت حكومة هولندا على جزيرة سليبس وأخذت سلطان بوني أسيرا كان لديه أرقاء كثيرون وكذلك أهالي تلك تلك الجهة لديهم كثير من الأرقاء فلما استولت هولندا على تلك النواحي هرب أولئك المماليك وتركوا مالكيهم فما قولكم رضي الله عنكم فيمن أعتق أرقاءه بصيغة الجمع قائلا: إني أعتقت جميع [illegible] أحرارا [illegible] ذكورا وإناثا - واذا أذن المعتق بتزويج معتوقاته قائلا: إني أذنت لكل من يتولى عقود الانكحة من قضاة المسلمين أن يزوج كل معتوقة لي عند عدم وليها الشرعي على من تريد: فهل يكفي في كل الاعتاق والاذن بالتزويج صيغة الجمع أم لا أفيدونا ولكم الاجر والثواب

﴿ الثاني من صلى بالناس الجمعة في مرض النبي (ص) ﴾

(س ٤٧) لما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي توفي به فمن صلى بالناس الجمعة التي وقعت في حال مرضه (ص) ومن الذي خطب بهم الخطبة أفيدونا مأجورين

﴿ الجواب عن السؤالين الاولين ﴾

يصح العتق بصيغة الجمع ويتناول كل فرد لا نعلم في ذلك خلافا . وأما الاذن بالتزويج ففيه تفصيل فاذا أرادت المعتقة أن تتزوج في بلد ليس لها فيه

ولي غير مولى العاتقة وقامت البينة عند القاضي على ذلك الاذن كان له أن يزوجها واذا لم تقم عنده بينة طلبه ليزوج هو وأما اذا كان المولى غائبا ولا ولي سواه فللقاضي أن يزوج سواء كان هناك اذن أم لا لأن الولاية له حينئذ

﴿ الجواب عن السؤال الآخر ﴾

قالوا ان النبي صلى الله عليه وسلم مرض مرض الموت في اواخر صفر أو أوائل ربيع الاول وقالوا ان المرض قد اشتد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث ليال وقالوا انه توفي حين اشتد الضحى من يوم الاثنين وقالوا ان أبا بكر رضي الله عنه هو الذي كان يصلي بالناس بأمره عليه الصلاة والسلام في المدة التي لم يكن يستطيع الخروج فيها وقالوا أنه خرج في صبيحة يوم الاثنين وأبو بكر يصلي الصبح بالناس فضحك سرورا برؤيتهم وكادوا يفتتنون في صلاتهم فرحا به اذ ظنوا أنه عوفي وأراد أبو بكر ان يتأخر ليتم صلى الله عليه وسلم الصلاة بالناس فأشار إليهم أن يمضي في صلاته

وقال بعضهم ان أبا بكر صلى بالناس سبع عشرة صلاة ولم أر أحدا قال ان منها صلاة الجمعة . ورأيت في الاحياء ان ابتداء الاذن لأبي بكر رضي الله عنه بالصلاة بالناس كان في أول ربيع الأول فاذا كانت وفاته صلى الله عليه وسلم في الثاني عشر منه كما هو المشهور فالصلوات التي أمّ أبو بكر بها الناس كانت متفرقة ومنها الليالي التي اشتد بها المرض فلا عجب اذا كان صلى الله عليه وسلم هو الذي صلى بالناس آخر جمعة من أيام حياته الشريفة

باب المناظرة والمراسلة

الانتقاد على المنار

(العصبية الجنسية واللواء)

أرسل الينا بعض طلبة مدرسة الحقوق مقالا من الاسكندرية عنوانه «المنار والسياسية والدين» ولكن موضوعه الدفاع عن صاحب جريدة اللواء وإطراؤه بالمدح والثناء ، ومؤاخذة المنار على إنكاره عليه ما ادخله في دعوة الوطنية ، من نزغات العصبية الجنسية الجاهلية، وإقامته الحجج على ان ذلك مناف لما قرره الاسلام من أخوة الدين ومن الحقوق الأخرى لكل مقيم في دار الإسلام أيا كان جنسه . ذكره بذلك ما كتبناه في الجزء الماضي ردا على فريد أفندي وجدي

قال الكاتب « أما بعد فان لي كلمة يدفعني الشعور بالواجب ان أقولها لكم وهي وان كانت لا تتفق الى الآن مع رأيكم الا انني على ملء الثقة في انكم لا ترفضون كل ما يخالفكم لما اختبرته بنفسي كثيرا وشهدته منكم غير مرة فانا أرسل اليكم تلك الكلمة معتقدا أني أخدم بها الحق كما تخدمه المنار فرجائي ان تنشروها في مجلتكم ولكم بعد ذلك ان تعلقوا عليها ما شئتم أن تعلقوا »

نقول اننا لا نرفض كل ما يخالفنا ولا ننشر كل ما يوافقنا وانما نختار ما نرى فيه الفائدة من الامرين ومنه الانتقاد علينا في المسائل الدينية والعلمية ممن يبحث في المسألة نفسها لا في اعتقاده بنية صاحبها وشؤونه الخاصة فلو كان الكاتب جعل مقالته في انتقاد رأينا في العصبية الجنسية لنشرناها ولكن معظمها في بيان اعتقاده في صاحب جريدة اللواء وما يرجوه من سعادة البلاد بدعوته وهو ما نعتقد خلافه . فهو يذكر اعتقاده فيه ويقول « فماذا تنتقدون عليه في ذلك وماذا ترون فيه مما يخالف روح الدين » كأنني بانتقاد العصبية الجنسية الجاهلية عليه انتقدت عليه كل شيء يقوله . وقد غلا في ذلك حتى حكم بأنني أعد المبادي التي تنهض بها الامم — وهي مبادي صاحب جريدة اللواء في رأيه — مخالفة للاسلام وانني أجعل الحياة الوطنية عين العصبية الجنسية الجاهلية وبذلك أكون منفرا عن الاسلام . وهذا غير صحيح فما فائدة التطويل بشرح رأي غير منطبق على الواقع

ليس في المقال دفاع حقيقي من صاحب جريدة اللواء في موضوع العصبية الجنسية الا إنكار أن تكون مما يدعو اليه قال « لعلكم تريدون بذلك مايطلق به على الدخلاء وتحذير المصريين منهم في اللواء - ان كنتم تريدون ذلك - وهو الواقع - فما أبعد دعوتكم من عصبية الجنسية :: لان مصطفى كامل باشا قد عرف معنى الدخلاء غير مرة وفهم ذلك عنه الكثيرون من قراء اللواء فهو يعني بالدخيل من يزج بنفسه في أهل أمة ويسعى في ضررهم وهو يطلق هذا اللفظ على فئة من نصارى سوريا رأينا من أعمالهم أنهم يحملون في صدورهم أقبح النيات نحونا سعيا وراء مصالحهم وأهوائهم » ثم ذكر انه ان كان قد أدمجنا في تلك الزمرة فما ذلك الا لاعتقاده أننا نفعل فعل تلك الزمرة وانا لانخلص في فائدة الأمة المصرية ثم استدل على ذلك باجلاله لبعض السوريين كرفيق بك العظم

أقول ليست العصبية الجنسية في اللواء محصورة من كلمة الدخلاء التي جعلها هجيراه فقط بل ترى روحه فائضة بهذه العصبية التي جعلها مضادة السوريين بوجه خاص فما غاضت آونة لتنعم الهرة الا وفاضت أخرى، وقد طفت حتى تجاوزت السوريين المقيمين في مصر الى غيرهم كما ظهر ذلك عند ما اطلق تألب العساكر السورية المسوقة الى اليمن بحسبة المثبت . وقد ظهر أثرها في الأغرار المخدوعين بجمجمة هذه الجريدة حتى صار مثل محمد فريد أفندي وجدي لايسمح لمحمد رشيد رضا أن يتكلم في شؤون الأمة المصرية بل ولا في شؤون ملتها ولا يجد أحدا ينشر له هذا الا اللواء صاحب الدعوة وناشرها . وان مثل هذه العصبية يكون مظهرها في اللسان أقوى منه في الكتابة وقد سمعنا من خاصة أصدقائنا الفضلاء من المصريين أنها قد قويت حتى صار بعض المتعلمين بل والمعلمين ينالون من اخوانهم من يعترف بفضل سوري أويخلص له في الصداقة ورأينا أهل الفضل والدين من المصريين يألمون لطروء هذه النزعة الجاهلية على المسلمين ولعل المتفقد قد قرأ ما كتبه بعض اخوانه طلاب الحقوق في بعض المجلات الحديثة من كونهم يطلبون بيان الدين والدفاع عنه من المصريين !!!

بل وصل شر العصبية الجاهلية الى بعض علماء الازهر الذين يعيشون فيه مع طوائف

المسلمين من جميع الاقطار حتى قال أحد كبرائهم مرة عندما مدح أمامه « مسجد الست الشامية » في موقعه ونظافته : نعم ولكن من الاسف أنهم حشوه بالشوام، وهو وان بناه الشوام ووقفوه ووقفوا عليه ليس فيه مستخدم شامي الا الخطيب الصالح الذي يقصد المسجد لأجله من الاماكن البعيدة ممن لم تفسد دينهم عصبية الجاهلية . أتدري من هو ذلك العالم ؟ اني لا اسميه وإنما أقول لك انه صديق صاحب جريدة اللواء من علماء الازهر الذي كان يزوره كما يزوره هو

بل ارتقى صاحب جريدة اللواء بهذه العصبية الى مستوى اسمى فصرح بأن أمير البلاد أشار في خطابه يوم خلع على الشربيني خلعة مشيخة الازهر الى وجوب خروج صاحب المنار من مصر لأنه هو الغريب الذي هو غير راض عن طريقة التعليم في الازهر

على أننا لو سلمنا أن اللواء لا يعني بالدخلاء الذين ينفر عنهم ويبغض فيهم غير فئة من نصارى السوريين كما يرى المنتقد الحسن الظن لما كنا الا قائلين بأنه مخطئ خطأ ضاراً بالبلاد لان أول من عمل [illegible] هذه الفئة أصحاب المقطم وهم لم يذهبوا مذهبهم المعروف في السياسة لأجل فائدة سوريا ومصلحتها حتى يقال انه مذهب سوري ويتهم منتحله بأنه او لأنه سوري أو دخيل ؟ كلا انه ما ذهب أحد منهم هذا المذهب لأنه سوري دخيل في البلاد المصرية يتعصب عليها وعلى أهلها ليحول مصالحها ومنافعها الى وطنه وإنما قصارى سوء الظن فيهم أن يكونوا يلتمسون بهذا منفعتهم الخاصة فما معنى نبزهم بلقب الدخلاء وجعل ذلك علة لعداوتهم للمصريين ؟

أليس من المقرر في علم الأصول والمعروف عند أرباب الاذواق والعقول ان ترتيب الحكم على المشتق يؤذن بعلية ما منه الاشتقاق ؟ أليس الاسم المنسوب من قبيل المشتقات ولذلك يعمل عمل اسم المفعول ؟ فبهذا تبين أن ترتيب الطعن في قوم على كونهم سوريين دخلاء يؤذن بأن كونهم سوريين هو علة ذلك الطعن وما ترتب عليه وحينئذ يكون طعنا في جميع السوريين من حيث هم سوريون وهو على كونه خرقاً وأفناً في الرأي ضار لأنه تأريث عداوات وضغائن بين أهل قطرين

متجاورين في الأرض متساوين في اللغة والتابعية العثمانية متقاربين في العادات وأكثر أهلهما مع هذا متفقون في الدين

ان السوريين المقيمين بمصر وعددهم لايستهان بعددهم فانهم أصحاب قوة مالية تقدر بنحو خمسين مليون جنيه وقوة أدبية لاتحتاج الى تعريف · وما من أحد منهم يعد من أصحاب الرأي والاشراف على أحوال المصر الا وهو يعتقد بأن خطة جريدة اللواء تضعه من المصريين موضع المدومن عدوه ومن هؤلاء من هو مخالف لاصحاب المقطم في الرأي والسياسة ومنهم من يبغضهم ويطعن فيهم

أي قول قال به أصحاب المقطم وليس في المصريين مسلمهم أوقبطيهم من يقول بمثله فما بالك بسائر الشعوب التي يوجد منها ألوف تقيم في مصر ولهم جرائد تخالف رأي اللواء كما تخالفه المقطم وهي أشد خلافا فلماذا لايتوط ذنبها في رأيه بكون أصحابها من جنس كذا أو من بلاد كذا ؟؟

ان كل أجنبي بمصر يرى نفسه أشرف من الجنس المصري وأجل من أن يخضع لقانونه وهو يرى في هذه البلاد لا بيته ولا يعود إلا بما يجمعه من الثروة ينقلب به الى أهله · والسوري يرى نفسه شبيهاً بالمصري ومساوياً له في كل شيء · وقلما يرجع سوري الى بلاده بما كسب من مال ولكن كثيرا منهم جاؤا الى مصر بأموال عظيمة لاسيما في هذه السنين الاخيرة · فلأي شيء يعد اللواء ذنب الواحد منهم عارا عليهم · وما هو الفرق بين السوري والمصري والافرنجي في ذلك على ان جميع الاجناس صارت تشعر بأن اللواء يدعو الى عدواتها بل طفقوا يعتقدون أن المصريين يبغضون كل غريب فما أشأم اللواء

المنتصر اللواء يرى ان خطته هي التي تنجح بها الامة وأنه لا نجاح بسواها ونحن نرى ضد ما يرى وما توسعنا في مسألة الجنسية الآن وقبل الآن الا لأنها منافية لروح الاسلام من جهة ولمصلحة المصريين ثم السوريين من جهة أخرى ولو شئنا لبينا تغير هذه الخطة جميع الاوربيين من المصريين وكيف جعلتهم عونا للانكليز عليهم بعد أن كانوا عونا لهم على الانكليز، وبينا كيف شغلت هذه الخطة المصريين بالسياسة العقيمة عن الطريقة المستقيمة وغير ذلك مما ننكره على هذه الجريدة المشهورة

وصاحبها ولكننا ندع ذلك للأيام ، فهي التي تكشف للناس كيف كانت هذه الوطنية عبارة تبغيض المصريين الى جميع الشعوب وكثرة الفخر والدعوى والعظمة ولعل اليوم الذي تنكشف فيه الحقائق ليس ببعيد

الجرائد وتاريخ الاستاذ الامام

وصاحب جريدة اللواء

جاءتنا رسالة من الشيخ أحمد المنوفي امام الجامع الكبير بكلكته (الهند) في موضوع انتقادنا على بعض الجرائد فيما كتبت عن تاريخ الاستاذ الامام أنحي فيها على صاحب جريدة اللواء إنحاء شديدا يتعلق بسيرته وسياسته كما أطراه صاحب الرسالة السابقة في ذلك · فنعتذر عن نشرها بمثل ما اعتذرنا به عن نشر تلك لأنها لاتفيد القراء وانما تفيدنا نحن وقد قرأناها وانما نذكر جملة منها على سبيل النموذج لما فيها من اعتقاد كاتبها في الاستاذ الامام عليه رضوان الله لامجازاة اللواء على شتمه ايانا مرة بعد اخرى إذ لو كان غرضنا ذلك لنشرناها برمتها · قال الكاتب في معرض الكلام على صاحب جريدة اللواء :

« ثم ازداد غلوا فجعل له لقب أمير المسلمين ونهضة المصريين لا استغراب ماصدر منه من هذه الفلتة الشنيعة التي منشأها الغطرسة وسوء الادب مع أئمة الدين وقادة المسلمين الا وهي قوله « تاريخ الشيخ عبده » إذ مثل هذه الفلتة يتحاشا من كتابتها وجعلها عنوانا على امام الائمة المرحوم الاستاذ الامام أقل الناس أدبا وأشدهم تكبرا وأجهلهم بحقيقة نفسه بل لاينبغي لأديب ان يجعلها عنوانا على أصغر تلميذ فضلا عن الاستاذ الامام فما بالك بصاحب (جريدة) اللواء الذي يعتقد انه خلص المسلمين وعلى الاخص المصريين من ذلك أو أخرجهم من سل جهل وأنهم لولاه لم تقم لهم قائمة » الخ ما قال ومنه عدم التفرقة بين ما يكتبه صاحب هذه الجريدة وما يكتبه خلفاؤه لأنهم كما قال الكاتب « لايكتبون الا مايوافق مشربه »

وجملة القول اننا لانحب البحث في مذهب جريدة اللواء وسيرة صاحبها في سياسته ومشربه ولا نحاول إقناع المعجبين بها وبه بما نعتقد فيها لأنهم يقيمون في ذلك الاعجاب الشعور والوجدان دون الرأي والبرهان ، والوجدان يستغرق

الغلوّ والشذوذ ولذلك قال عبد الله أفندي نديم رحمه الله من اعجاب الجماهير وتصفيق قلوبهم وأيديهم مالم يصل الى مثله ولا الى عشره صاحب جريدة اللواء الى اليوم لانه كان يقول لهم فيما يكتب ويخطب ان قذائف مدافع الاسكندرية تصل الى قبرص من هذه الناحية وقذائف مدافع الاستانة تصل اليها من الناحية الأخرى فكيفما جالت المراكب الانكليزية فهي تحت رحمة مدافعنا : ومصطفى كامل يهزأ بالانكليز ويهددهم بما يقرب من هذا ومتى وصل الى مثله — وما ذلك ببعيد — يصير اعجاب الجماهير به أشد منه اليوم لأن اعجابهم يكون دائما على قدر الغلو كما قلنا. ولكن اذا وقع بالبلاد منتهى ما يتوقعه العقلاء من عواقب هذا الغلو — وما وقع الى اليوم ليس بقليل — أو اذا تدارك هؤلاء العقلاء الخطب قبل وقوعه وهم أولو الشأن في البلاد كما يرجى منهم فيومئذ يعلم المغرورون أن ليس كل مخالف اللواء يعدوّ للبلاد ولا بدخيل ولا بضارّ بل الضار هو اللواء وصاحبه المتفاني في حب الشهرة والغلو لا في حب الوطن (١٦ : ٩ وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهداكم أجمعين)

الانتقاد على محمد فريد أفندي وجدي في كتبه

٣

كنز العلوم واللغة

نكتفي في هذا الجزء بالانتقاد على مادة واحدة من مواد كتاب كنز العلوم واللغة لأن باب المناظرة لا يتسع فيه لأكثر من ذلك

أخطأ فريد أفندي وجدي فيما كتبه في لفظ (حديث) أنواعا من الخطأ تدل على أنه لا ثقة بنقله وروايته كما انه لا ثقة بفهمه ورأيه

(الخطأ الاول) تعريفه الحديث في الاصطلاح بقوله «والحديث في الاصطلاح أطلق على ما روي من رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكلام» وهذا غير صحيح وهو يدل على أنه لم يتلق ولم يقرأ شيئا من كتب الحديث مطلقا أو قرأ شيئا قليلا لم يفهمه والصواب أن الحديث في اصطلاحهم ما أضيف الى النبي صلى الله

عليه وسلم قولا أو فعلا أو تقريرا أو صفة ويطلق كما في النخبة على كل من المرفوع والموقوف والمقطوع (الثاني) قوله انه لم يصح عند أبي حنيفة الا سبعة عشر حديثاً فقط فان من يعرف غير هذا العدد من الصحاح لا يعترف له أحد بالإمامة والاجتهاد المطلق. ثم ان الرواية عن أبي حنيفة قليلة وفرق بين ما يروى عنه وما يصح عنده

(الثالث) قوله «انه لم يصح عند الامام مالك الا ثلاث مئة حديث»

وهذا خطأ كبير فقد قال الحافظ ابن حجر كتاب مالك صحيح عنده وعند من يقلده على ما اقتضاه نظره من الاحتجاج بالمرسل والمنقطع وغيرهما. وقد نقل عن الامام الشافعي ان الموطأ أصح كتاب بعد كتاب الله تعالى. ثم ان الشافعي قال ذلك قبل وجود صحيحي البخاري ومسلم اللذين قدمهما العلماء بعده على الموطأ ولكن ذلك لم يخرج الموطأ عن كونه صحيحاً. وقد نقل السيوطي في تنوير الحوالك عن القاضي أبي بكر بن العربي ان الموطأ هو الاصل الاول والبخاري هو الاصل الثاني وان مالكا روى مئة ألف حديث جمع منها في الموطأ عشرة آلاف ثم لم يزل يعرضها على الكتاب والسنة (أي العملية) حتى رجعت الى خمس مئة. وعن الكيا الهراسي كان تسعة آلاف فرجع الى سبع مئة. أقول والظاهر ان الخلاف في العدد خاص بالاحاديث المسندة وهي كما نقل عن الابهري ست مئة وعن ابن حزم خمس مئة ونيف. ومجموع الاحاديث والآثار فيه ألف وسبع مئة وعشرون قال الابهري المرسل منها ٢٢٢ والموقوف ٦١٣ ومن أقوال التابعين ٢٨٥ وكل مافيه قد صح عند مالك وان قال بعض المحدثين بعده بضعف قليل من رواياته وقد نقل عنه انه قال «عرضت كتابي هذا على سبعين فقيها من فقهاء المدينة فكلهم واطأني عليه فسميته الموطأ» فلينظر الناظر الى مبلغ علم فريد أفندي بالآثار وجرأته على كتابة ماليس له به علم

(الثالث) قوله «ولم يصح عند البخاري الا ٦٢٠٠ حديثاً (كذا) من أكثر من ٦٠٠٢٠٠ سمعها من الناس»

أقول لاندري أاخترع فريد أفندي وجدي هذه الاقوال اختراعا ثم سأل بعض من يظن فيه العلم أن يكتب له ذلك لئلا يخبر بعلم غيره فكان انتحاره بالجهل.

أما المعروف المشهور في كتب الحديث فهو أن ما في الجامع الصحيح للبخاري هو بعض ما صح عنده وهو بالمكرر يزيد عما قال و بدونه ينقص قال الحافظ ابن حجر في مقدمة الفتح جميع أحاديثه بالمكرر سوى المعلقات والمتابعات سبعة آلاف وثلاثمئة وسبعة وتسعون حديثا والخالص من ذلك بلا تكرار الفا حديث وست مئة وحديثان . ثم تكلم في احصاء المتون المعلقة المرفوعة بغير وصل . ولا يتفق زعم فريد أفندي وجدي مع عد المكرر ولا مع تركه . هذا اذا فرضنا أنه لم يصح عند البخاري الا أحاديث الجامع والصواب أنه قد صح عنده غيرها وقد صح عنه أنه قال « لم أخرج في هذا الكتاب الا صحيحا وما تركت من الصحيح أكثر حتى لا يطول »

(الرابع) قوله أول من الف في الحديث مالك في الموطأ (كذا) توفي سنة ١٧٩ وقيل ابن جريج »

والصواب أن أول من دون الحديث ابن شهاب الزهري بأمر عمر بن عبد العزيز كما قال الحافظ ابن حجر في الفتح ورواه أبو نعيم في الحلية عن مالك نفسه وفي باب (كتاب العلم من الموطأ رواية محمد بن الحسن وعلقه البخاري « أخبرنا مالك أخبرنا يحيى بن سعيد أن عمر بن عبد العزيز كتب الى أبي بكر عمرو بن حزم أن أنظر ما كان من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم او سنته او حديث عمر أو نحو هذا فاكتبه لي فاني قد خفت دروس العلم وذهاب العلماء » . ثم انهم ذكروا أن مالكا وابن جريج من أول من صنف الحديث مرتبا على الابواب وهذا أخص من مطلق التأليف والتدوين فان الذين كتبوا الحديث على أقسام منهم من كتب ما اجتمع له كيفما اتفق ومنهم من رتبه على الابواب ومنهم أصحاب المسانيد الذين ذكروا ما أسنده كل صحابي على حدة بحسب رواياتهم ومنهم أصحاب المعاجم الذين رتبوه على حروف المعجم . وقد كان ممن الف الحديث مرتبا على الابواب في القرن الثاني مالك بالمدينة وابن جريج بمكة وسفيان الثوري بالكوفة والاوزاعي بالشام والربيع بن صبيح او سعيد بن أبي عروبة او حماد بن سلمة بالبصرة وهشيم بواسط ومعمر باليمن وجرير بن عبد بن حميد بالري وابن المبارك بخراسان . قال الحافظان ابن حجر والعراقي وكان هؤلاء في عصر واحد فلا يدري أيهم اسبق ،

كذلك كتب المسند غير واحد في عصر واحد فاختلفوا في الأول منهم . فلو كان فريد أفندي وجدي مطلعاً على أقوال المحدثين في ذلك لقال ان مالكا وابن جريج هما أول بل من أول من صنف الحديث مبوبا كما قال أول ـ او من أول ـ من كتب المسند نعيم بن حماد وأسد ابن موسى وعبد الله بن موسى . وأنى لمثل فريد أفندي وجدي أن يعرف شيئا من هذه الفروق والدقائق أو مثل من وصفه بالتدقيق والتحقيق في كل مايكتب كبعض محرري المؤيد على أن القول بسبق ابن جريج لمالك أقوى من عكسه كما أطلق ذلك غير واحد ومنه ما في التذكرة للحافظ ابن حجر عن الامام أحمد أن ابن جريج وابن أبي عروبة أول من صنف الكتب

(الخامس) قال فريد أفندي وجدي « ثم توالت بعد ذلك المجموعات السبع الشهيرة بكتب السنة الصحيحة وهي مجموعة البخاري المتوفي سنة ٢٥٦ ﻫ ومسلم المتوفي سنة ٢٦١ ﻫ وأبو داود (كذا) المتوفي سنة ٢٧٥ ﻫ وابن ماجه المتوفي سنة ٢٨٢ ﻫ والنسائي المتوفي سنة ٣٣٣ والدارقطني المتوفي سنة ٣٨٥ ﻫ »

أقول انه ذكر ان المجموعات سبع وعد ستا فقط فلا نعد هذا عليه وانما نعد عليه انه ترك من الكتب الستة كتاب الترمذي واستبدل هو به الدارقطني وهذا يدل على الجهل المطلق بهذا العلم ولو ترك ابن ماجه لقلنا انه تركه للخلاف فيه وإن جرى جميع المتأخرين على عده السادس من الستة ولكن أنى لمثله ولمن يقرظ له كتبه فيصفها بالتحقيق والتدقيق أن يعرف هذا

(السادس) زعمه ان ابن ماجه توفي سنة ٢٨٢ والصواب انه توفي سنة ٢٧٣ وقيل ٢٧٥

(السابع) زعمه ان النسائي توفي سنة ٣٣٣ والصواب انه توفي سنة ثلاث وثلاث مئة . فبأي شيء مما يكتب فريد أفندي يوثق

ان كل ما كتبه في هذه المادة لا يزيد الا قليلا عن الصفحة وقد رأيت ان معظم ماهو نقلي من ذلك فهو خطأ لأن منه الكلام في النسخ والوضع وله في ذلك عبارات لو تتبعناها وانتقدناها لفظا ومعنى لأطلنا في احصاء ما يتعذر إحصاؤه

ومن قرأ قوله في آخر هذه المادة « هذا واننا في عصر كثر فيه النبهاء وأخذ كثير منا في احتذاء مثال أئمتنا في مسألة الاحاديث من الاكتفاء بالصحيح

السلم وان كان قليلا وترك المشكوك فيه مهما كان كثيراه من قرأ قوله هذا يظن انه هو في مقدمة هؤلاء النبهاء الذين ذكرهم ولكنه اذا تتبع الاحاديث التي يحتج بها فيما يكتب يرى انه يشكك في أصح الروايات كأحاديث الشفاعة ويشد في الاكثر على الاحاديث المشكوك فيها أو المقطوع بضعفها أووضعها وهو لا يعلم وسنبين ذلك في فصل مستقل ان شاء الله تعالى

آثار علمية أدبية

لباب الخيار في سيرة المختار

ألف الشيخ مصطفى الغلاييني البيروتي مختصرا في السيرة النبوية سماه بهذا الاسم وطبعه طبعا جيلا على ورق حسن ضبط فيه بالشكل ماراه مما يشتبه فيه غير العالم فكانت نسخته [illegible] من أسهل المختصرات وأقربها الى افادة التلاميذ المبتدئين والعوام

ذكر في أول هذا المختصر ان الاسلام قام أونشر بالدعوة لا بالسيف وقسم حياة النبي صلى الله عليه وسلم الى ثلاثة أدوار: ماقبل البعثة وما بعدها الى الهجرة وما بعد الهجرة وذكر المسائل والغزوات دون السرايا ونبه على مواضع العبرة في كثير من المواضع وختم المختصر بأحاديث من الحكم وجوامع الكلم بلغت ٢٢١ حديثا رتبها على حروف المعجم . وثمن النسخة من هذه السيرة قرشان صحيحان ماعدا أجرة البريد وتطلب من مكتبة المنار بمصر

فلسفة الاسلام ومدنية القرآن

كتاب جديد يؤلفه أحمد أفندي بدوي النقاش أحد ضباط الجيش المصري في سكة الحديد السودان وقد طبع الجزء الاول منه في مطبعة الآداب والمؤيد . وقد يتعجب القارىء من نسبة كتاب في الفلسفة الى ضابط مصري لاسيما اذا

كان عالماً بحال التعليم في المدرسة الحربية المصرية وأنه تعليم صناعي ليس فيه شيء يرقي الفكر حتى ان دراسة التاريخ قد ألغيت من هذه المدرسة منذ سنين ولا نرى جريدة من الجرائد المبالغة في انتقاد نظارة المعارف تنتقد ذلك على نظارة الحربية ،

نعم يتعجب القارئ من تأليف ضابط مصري كتاباً في فلسفة الدين ولا يذهب بتعجبه الا تذكر تفاوت استعداد البشر فان في الضباط المصريين أفراداً من المغرمين بقراءة كتب العلم والدين والتاريخ والمجلات الدينية والعلمية . ومؤلف هذا الكتاب من المستعدين للفلسفة ويا ليت تربيته لم تصرفه عما خلق مستعداً له الى غيره . قرأنا مسائل من الكتاب فرأيناها نتائج فكر دقيق ، جاءت من كل فج سحيق ، بعضها جلي وبعضها خفي لم تقو العبارة على بيانه . ومن مباحث الكتاب طبيعة الفكر الانساني والارادة والعقل وحرية الانسان واستقلاله ووجود الله والفلسفة الالهية وإيصال القرآن الى السعادة وغير ذلك

الدليل ، في موارد أعالي النيل

كتاب جديد كبير الحجم والفائدة صنفه بالانكليزية السر وليم جارستن مستشار نظارة الاشغال العمومية بمصر ونقله الى العربية ابراهيم مصور بك رئيس الترجمة في هذه النظارة وطبع بمطبعة المعارف طبعاً في منتهى الحسن وهو يشتمل — كما كتب في طرته — « على مطالب التعديل والاصلاح . ويليه تذكرة جناب المستر ديبوي مفتش عموم ري السودان شرح فيها خبر رحلته الى بحيرة تسانا وأنهار السودان الشرقي . وفي درج الكتاب رسوم جمة وله ملحقات »

نقول أما الكتاب فهو قسمان وخاتمة وفي القسم الأول منهما ١٢ فصلا في الكلام على بحيرة فكتوريا و بحيرة ألبرت أدوردو بحيرة ألبرت وهي ينابيع النيل وأصوله وعلى نيل فكتوريا والنيل الأعلى المعروف ببحر الجبل وعلى البحرين الأبيض والأزرق وهما فرعا النيل العظيمين وغير ذلك . والقسم الثاني في « تصرفات الأنهار وممكنات المشاريع » وفيه فصلان . وأما الملحقات ففيها فوائد كثيرة

في مشروعات ومباحث مهمة كتعلية حبس أسوان ومشروعي وادي الريان وفرع رشيد ؛

وأما الرسوم الشمسية فيه فهي ٤٦ رسما وهناك رسوم أخرى كثيرة منها الملوّن كخرائط الجغرافية ومنها غير الملون وهي في غاية الاتقان

ومن خدمة اللغة في هذا الكتاب أن مترجمه بالعربية قد فسر في هوامشه الألفاظ التي احتاج الى استعمالها فعني بالبحث عنها ووضعها في مواضعها ولم تكن مستعملة عند كتاب العصر كالمساك بوزن سحاب وهو مكان من النهر تتراصف اليه حطامة الاغصان ورفاش الحطب والعشب وغيرها فتحبس ماءه وتعوق سيره ويعرف بالسد - وكالمتبجرة بوزن المتربة قال وهي أرض تطمئن وتتفجر فيها أودية وبالتخصيص بجوة ما بين جبلين وهي القبجة والوادي والغور - وهو يفسر أيضاً كل ما ورد في الكتاب من الاصطلاحات والتحليل

وأسلوب الترجمة عربي فصيح قلما نجد لأحد من كتاب هذا العصر ومترجميه مثله وإن لم يخل من بعض ما ينتقد على [illegible] وهاك هذا النموذج منه في الكلام على بحيرة ألبرت :

« أما بحيرة ألبرت فالحادثات فيها على خلاف ما تقدم ولكن لامرد لوقوعها وفعلها أكيد . ذلك أن مناكح جبل روزوري والفواعل الجوية فيه تؤدي الى نحات جوانبه على الدوام وتفتتها وكل ما ينساب منها من الرفاش (١) تجرفه السيول الى أخاديد (٢) ومضايق ذاهبة به الى نهر سملكي وهو يرمي بها الى بحيرة ألبرت ومعها مقادير من الطين التي تجتليها مياهه من أنحائه العليا . هذا وانحدار النهر عند الطرف الجنوبي لبحيرة ألبرت يقل فتخف بذلك جريته فتصبح مياهه وليس لها قوة دافعة تساق تلك المواد فتستقر جميعها في بطاح البلاد المجاورة . وعليه فقد كونت رواسب الأجراف (٣) في الأطراف الجنوبية من بحيرة ألبرت سهلا

---

(١) رفاش الشيء (كغراب) قشارته وما تحطم منه تفرق (٢) جمع أخدود وهو الحفرة المستطيلة في الأرض (٣) أجراف جمع جرف (بالضم) وجرف (بضمتين) وهي ما تجرفه السيول وأكلته من الأرض (المعرب)

بسيطًا من الأرض يتداخل شيئًا فشيئًا بمياه هذه البحيرة فيرفع منسوب قاعها ولاتزال هذه الرواسب تعمل هذا العمل على التوالي . ومثل ذلك يعمله بحر فيكتوريا في الطرف الشمالي للبحيرة فهو يلقي بالجزء وأجرافه في البحيرة فتضيق»

فنشكر لواضع الكتاب خدمته لهذه البلاد ولمترجمه خدمته لها ولغتها بما لم يخدمها أهلها

﴿ هذا يلاشي تلك ﴾

لفيلسوف شعراء فرنسا أوشاعرفلاسفتها فيكتورهيجو أو هوجو (أو الاسم بالغين أوالكاف بدل الجيم على ماترى عليه المعربين والمترجمين من الخلاف) مقال عنوانه(هذا يلاشي تلك) وصف فيه مباني الأقدمين وهامتها كالاهرام وقصر الكرنك وعمود السواري والبادثيون والباثيون ذهب خياله فيه الى فلسفة اجتماعية دقيقة فجعل ذلك رمزا للسلطة الروحية والسياسية التي استعبد البشر بها الكهنة والملوك وبين ان اختراع المطبعة الذي سهل نشر العلم بين جميع الناس يلاشي تلك السلطة ويذهب الروح الكهنة وانتقد على ذلك مترجم الكتاب وحاول بيان أن المطبعة لم تهدم الكهنية بل اخدمتها ورد عليه المترجم ثانية نشر ذلك في جريدة البصير ثم طبع على حدته

﴿ مطمح الفصحاء ﴾

كتاب ألفه الشيخ علي فؤاد المتوفي في شيء سماه الانشاء وجعله عشرة أقسام في رسائل الود والشوق والعتاب والاعتذار والقطيعة والاستعطاف والرجاء والشكر والتعازي والتهاني وأودعه أربع مقامات وجعل له شرحا أكبر منه وان شئت فقل انه صنف كتابا آخر جعله هامشا له وسماه شرحا وان كان أكثرما فيه ليس بشرح ولا مناسبة بينه وبين المشروح في معنى الأصل . مثال ذلك شرحه البيت الآتي

إني لأبصر من أفعالها عجبا الوصل يغضبها والصد يرضيها

فانه لايبين المراد من البيت في شرحه وانما يتكلم عن أقسام الفعل في الصرف فيذكرالمجردة والمزيدة والملحقة والسالمة والمضاعفة والمهموزة وغير ذلك . كذلك شرحه البيت الآخر

أكتم الوجد والآلام تظهره　　　هيهات هيهات ذوطب يداويها

فانه لايذكر في شرحه الانحو صفحتين في أسماء الأفعال كأنه يشرح كتابا في النحو والصرف

قال المؤلف في فاتحة كتابه « وكل مافيه من المنشآت ابتكاري، كما أن بعض مابه من الأبيات اختياري »

« يعرف المرء باختيار وجمع　　　ودليل على الأديب اختياره »

ونقول انه ليس فيه شيء من الابتكار، وهاك هذا النموذج مما فيه من المنظوم والمنثور وهو ماقاله في أول قسم الاستعطاف بعد أبيات لغيره

« مهما في التجني علي أفرطت، وأذقتني بصدك الهوان، فروحي لمودتك أوهبت، يا إنسان كل انسان،

لله أشكو غرامي　　　وما أعاني وألقى

قطعت حبل ودادي　　　ولا أخون لك حقا

وبي [illegible] غوي　　　فالله [illegible]

لكن ... عهدي [illegible] وقولي على السبب هجرانك

لئن كان بالسلوان عني عواذلي　　　لكم حدثوا والله قد كذبوا بما

عن الحب والعهد القديم وودكم　　　وحق الهوى ماشل صاحبكم وما

لمهجتي الشجو أورثت، ولعيني السهد وهبت، والي الارق بثثت، وقلبي قد روعت

فزاد اشتياقي وقل اصطباري　　　ولم أستطع في هواك الهجوع

فؤادي أسرت قيادي ملكت　　　اما آن عفوك عن صادق

سميع مطيع مشوق ولوع

حذار العذول كتمت وجدي　　　يا خير مأمول عدمت رشدي

فمن علي برد الجواب　　　وحقك اني به لقنوع

دامت لك علياك ولا أعدمني الله محياك والسلام » اه

ولا يحسبن القاريء اننا تعمدنا نشر أدنى ما في الكتاب بعد البحث عنه بل هذا من أحسنه فان أساء بنا الظن أوردنا له أبياتا كتب بها الى صديق آخر وهي

أيا من فاق أهل العصر طرا ... بما أبداه من شرف الطباع

أسأت اليك فاستوحشت مني ... وأبدلت التواصل بانقطاع

فصرت أقارع الأهوال شكا ... وأنتف شعر رأسي من بجاعي

وأصرخ في (الشوارع والحواري) ... بأصوات كأصوات الضباع

وأزري دمع عيني فوق خدي ... ومن أسفي أعض على صباعي

ولما أن رأت عيناي موتي ... وان الروح مني في النزاع

أتيت اليك معترفا بذنبي ... ورجلي فوق كتفي باتضاع

أؤمل فيك انك تعف عني ... لأنك بحر جود ذو اتساع

فألقني بفضلك ثدي عفو ... لاشفى القلب منه بالرضاع

هكذا جاءت هذه الابيات في الكتاب فلا نظن ان مطبعتنا حرفت فيها أو صحفت

هنا يقول القارئ ما بال المنار يطيل الكلام على هذا الكتاب ويخالف عادته في مثله وانا أقول له ان السبب في ذلك التعريض بمكانة الكتاب كتب مصنفه في أوله أنه ورد اليه ٧٦ تقريظا له من أكابر العلماء وافاضل الشعراء وذكر منها تقريظا للشيخ سليم البشري الذي هو شيخ المالكية اليوم وكان شيخ الأزهر بالامس يشهد فيه للكتاب بأنه مفيد نافع

وتقريظا للشيخ محمد بخيت الحنفي المشهور يقول فيه « وبعد فقد أطلعت على كتاب مطمح الفصحاء بل مرتع البلغاء فوجدت من بحور الادب درر منظومة في سلوك الذهب تزري بقلائد العقيان في نحور الحسان كيف لا وقد حوى من النثر أغلاه ومن الشعر أعلاه لجزا (كذا) الله مؤلفه أحسن الجزاء واكثر من أمثاله النبلاء وجمل به وجه هذا الزمن ونفع بمؤلفه الأمة والوطن آمين»

وقد كان حظه من كبر الجرائد كحظه من أكابر العلماء فان جريدة المؤيد قرظته تقريظا جعلته فيه منتهى البلاغة . . . الملام المنار بعد كله أن أطال القول فيه

﴿ نخب من مبتكرات مكسيم غوركي ﴾

مكسيم غوركي من كتاب الأمة الروسية قد اشتهر بما كتب من المقالات والرسائل في الاصلاح السياسي والاجتماعي وله أسلوب رشيق وكثيراً مايبرز المعاني في قوالب الوقائع . وقد اختار سليم أفندي قبعين — وهو من أدباء السوريين العارفين باللغة الروسية — أربع مقالات لهذا الكاتب وترجمها بالعربية وطبعها فبلغت صفحاتها ثمانين صفحة ونيفا . عنوان المقالة الأولى (الملك الرافع اللواء) وعنوان الثانية (أحد ملوك الجمهورية) وعنوان الثالثة (فرنسا الجميلة) وعنوان الرابعة (اليهود) وثمن هذه النخب ٣ قروش صحيحة

غرائب الاسرار — جاسوس الاژاس

غرائب الاسرار قصة مؤلفة من أجزاء ترجم الجزء الاول منها واسمه (جاسوس الاژاس) حسن [illegible] أفندي موسى (حافظ بالاسكندرية) [illegible] وما وقائع الجزء فهي تكاد تكون في غرابتها من الخوارق أو الشعوذة وفيها من الرموز والاسرار مايشوق النفس الى الجزء الثاني لتقف على حل تلك الرموز وكشف هاتيك الاسرار . وأما الترجمة فهي أقرب الى العامية منها الى العربية الصحيحة . وصفحات الجزء الذي طبع ١١٢ وثمنه خمسة قروش

﴿ الفضيلة والرذيلة ﴾

قصة أدبية غرامية من تأليف جورج أونيه أحد كتاب الفرنسيس وترجمها بالعربية محمد أفندي كردعلي منشئ مجلة المقتبس وأحمد محروري المؤيد . وموضوعها علم الادب (الكتابة والشعر) والادباء في فرنسا فهي مساجلات ومنافسات بين نفر من الادباء والأديبات ، وقلما نجد شيئاً من ذلك في الكتب المترجمة بالعربية فالقصة تفيدك مالا تكاد تعرفه من كتاب آخر في اخلاق الأدباء وعاداتهم ومكانة الأدب عندهم وتأثيره فيهم . وقد طبعت القصة بمطبعة الشعب وتطلب من مكتبتها وثمنها ١٥ قرشا

﴿ المجرم البريء ﴾

قصة فرنسية الاصل ترجمها محمد أفندي كرد علي لمجلة مسامرات الشعب وطبعت في أربعة أجزاء من أجزائها وهي على كونها قصة غرامية تشرح للقارئ مسألة شرعية قانونية من أهم المسائل وهي الاعتماد على القرائن القوية في إثبات الجنايات والحكم بمقتضاها والخلاف في ذلك معروف فمن لا يبيح الحكم بالقرائن يقول انها قد تكون قطعية في الظاهر وهي لا حقيقة لها في الواقع وهذه القصة تؤيد هذا القول فهي تمثل لك في أولها رجلا عدا على آخر في بيته فقتله وأخذ ما أخذ من ماله وكان المال قراطيس لا معدنا وقد رآه من داره وهو متلبس بقتل جاره كل من زوجه وبنته وخادمتها وكان ذلك ليلا والانوار في بيت القتيل متألقة ولما عاد الى داره وكان قد تأخر خلافا للعادة عاد مشوشا مضطربا ولم يستطع الى النوم سبيلا ولما اتهم كان مما ظهر في التحقيق ان الاوراق المالية التي فقدت من القتيل وجدت في صندوقه وهو لم ينكر ذلك . والحق أنه لم يكن هو القاتل وان هذه القرائن والدلائل وغيرها مما ظهر لم يكن الا شبهات ... القصة ... بعد شرحها بالاسباب

﴿ محمد علي ﴾

قصة تاريخية غرامية في محمد علي باشا من أول نشأته الى أن استقر له أمر الحكم في مصر ألفت بالألمانية وترجمت بالانكليزية ثم ترجمها عن الانكليزية بالعربية نسيب أفندي المشعلاني بطلب ادارة الهلال وعلى نفقتها طبعت ومن مكتبتها تطلب . وقد سلك مؤلف القصة في بيان نشأة محمد علي مسلكا فلسفيا بين فيه أنه قد أوتي منذ صغره الاستعداد الفطري للرياسة وجاءت الحوادث مربية لهذا الاستعداد حتى بلغ منتهاه . والقصة في جملتها مفرغة في قالب مقبول ونسقها معقول غالبا يقل فيها النقد المنتقد كزعم الانتقال من قرب دمنهور الى قرب الاهرام في صحراء الجيزة في ليلة أو بعض ليلة

﴿ الجامعة الاسلامية وأوربا ﴾

رسالة لرفيق بك العظم المشهور بمباحثه التاريخية والاجتماعية سننشر بعض فصولها في الجزء الآتي من المنار ان شاء الله تعالى

الامين والمأمون

هي الحلقة الحادية عشرة من سلسلة القصص الغرامية التاريخية التي يؤلفها جرجي أفندي زيدان وينشرها في الهلال «وتشتمل على ما قام بين الامين والمأمون من الخلاف بعد وفاة والدهما الرشيد وقيام الفرس لنصرة المأمون حتى فتحوا بغداد وقتلوا الامين وأعادوا الخلافة الى ابن اختهم (المأمون) ويتخلل ذلك وصف دخائل السياسة بين العرب والفرس وما يقتضي المقام ذكره من الآداب الاجتماعية والعادات والاخلاق» . ومما يشرحه فيها ان الفرس كانوا متعصبين بالعصبية الجنسية متعمدين إزالة الملك من العرب وجعله فيهم وإقامة خليفة من العلويين يكون آلة دينية في أيديهم وان الكثيرين منهم كانوا يظهرون الاسلام ويخفون المجوسية ليتمكنوا من مخادعة المسلمين عربهم وفرسهم . فذكرنا هذا بالعصبية الجنسية التي محاها الاسلام وأماتها فأحياها بعض المنافقين فكان من شرها ما كان ويريد إحياءها في هذا العصر عصر باسم الوطنية بعض المفتونين بالشهرة فنسأل الله ان يقي الاسلام والمسلمين شرها لأن التفريق في هذا العصر يقتضي بهلاك جميع المسلمين لا بتغلب جيل منهم على جيل آخر كما كان الأمر قبل

رحلة ابن جبير البلنسي الأندلسي

نشرنا في هذا الجزء آثارة تاريخية من هذه الرحلة وسننقل غيرها وهي رحلة جليلة ذات فوائد جمة طبعها ثانية العالم المستشرق كوريج في هذا العام طبعا متقنا على ورق جيد وناهيك باتقان الافرنج وعنايتهم بالضبط وما يضمنونه الكتب من فهارس الاعلام والمواضع التي تسهل المراجعة والاستفادة وأهدى الينا نسخة منها مجلدة تجليدا حسنا فنشكر له نشره آثار سلفنا وخدمته هو وأمثاله لغتنا

الصراط — مجلة جديدة تطبع في الاسكندرية وقد كتب عليها «مجلة أخلاقية أدبية علمية تاريخية تصدر في الشهر مرتين بمعرفة جمعية محامد الأخلاق بالاسكندرية . قيمة الاشتراك سنويا عشرة قروش صاغ وللامذة المدارس خمسة قروش» وهي قيمة قليلة وان كانت صفحات الجزء من المجلة لا تزيد على عشرين صفحة فنتمنى ان يكون هذا الصراط موصلا الى الفوائد النافعة

باب الأخبار والآراء

« المسألة المراكشية وحرب الدار البيضاء »

كتبنا في السنة الأولى للمنار نصيحة فيه لسلطان مراكش أنذرناه فيها بأن دولة أوربا لابد أن يقبض على بلاده فيقمرها ان لم يبادر هو الى إصلاح شأنها بما تقتضيه حال العصر من التربية والتعليم لاسيما تعليم الفنون العسكرية والمالية، ثم كنا نعيد النصائح والتذكرة بعد أخرى وآخر عهدنا بها ما كتبناه في أيام انعقاد مؤتمر الجزيرة من العام الماضي (١٠ : ١٠١ وما تغني الآيات والنذر عن قوم لايؤمنون) بالاسباب والمسببات وسنن الله تعالى في الامم وانما يعتمدون في دفع الضر وحفظ المصالح على الخوارق وكرامات الاولياء مع ما درجوا عليه من التقاليد والعادات لايقبلون في ذلك اصلاحا ولا يبغون عنه تحويلا، وقد سبق لنا بيان التجائهم الى قبر مولاي إدريس وعجيجهم [illegible] الذي عنده بكلمة « ياللطيف » ليدفعوا بذلك ماطلبته فرنسا من السلطان يومئذ فليرجع الى ذلك في المجلد الثامن من اراد

مرت الأيام والسنون وأهل هذه البلاد « يفتنون في كل عام مرة أو مرتين » أو مرات « ثم لايتوبون » من تفريطهم وغرورهم « ولاهم يذكرون » ماحل بأمثالهم من الأمم والشعوب الجاهلية بحال هذا العصر ورقي أممه وما يجب من اعداد القوة لمدافعتها اذا عدت بحسب الاستطاعة وعلى قدر ماهي عليه من الاستعداد وكل ذلك مما يرشد اليه الاسلام ويفرضه بنص القرآن ولكن اين أولئك الجاهلون من الاسلام والقرآن وهم يعتقدون أن قراءة تفسيره تميت السلطان، وحياته عندهم أولى من احياء القرآن، ثم ماذا تفيدهم قراءته اذا كانوا يعتقدون ان الاهتداء به من الاجتهاد الممنوع بحكم شيوخ التقليد الجامدين، وان الدين لايؤخذ الامن كتب الفقهاء الميتين، كما يفهمها أصحاب الجاه من الشيوخ الحاضرين، وهم يرون ان العلوم

والفنون والصنائع التي بها تصنع آلات القوة كالبنادق (ويسمونها المكاحل) والمدافع والبوارج الحربية كلها محرمة لا يجوز للمسلمين الاشتغال بها كما يرى ويعتقد ذلك أشباههم من أصحاب العمائم في أكثر بلاد المسلمين، وبذلك أضاعوا الدنيا والدين، وكانوا سبب هلاك المسلمين*

مرت الأيام والسنون فدخلت (مسألة مراكش) أي مسألة محاولة أوربا استعمارها والاستيلاء عليها في طور جديد فقد اعتدى بعض المغاربة على العملة الأوربيين في مرفأ «الدار البيضاء» وهي من حواضر مملكة مراكش فتح بذلك لفرنسا باب استعمال القوة في هذا الثغر فدخلت منه وذلك ما كانت تبغي

أصبحت فرنسا مع قبائل المغرب في حرب تعددت وقائعها فالقبائل تهاجم الدار البيضاء فتلاقيها العساكر الفرنسية عداقها ومن ورائها البوارج تساعدها بعد فيها فتمزق شمل القبائل وتشتتهم [illegible] ولكن الفرنسيين قد دهشوا من شجاعة المغاربة واستبسالهم [illegible] بعساكر من ساحل الجزائر لعلمهم بأنه لا يفل الحديد [illegible] مدافع البحر

مهما عظمت شجاعة المغاربة [illegible] لحفظ استقلال البلاد ولا تدفع عنها ما تريد فرنسا منها فإن الجهل لا يغلب العلم والاختلال لا يعلو النظام فاذا كان أهل المغرب الاقصى أسوداً فان العقلاء من البشر قد عهدوا منهم التصرف في الاسود وحبسها في بلاد هي مواطنها وما عهد أن تعيش فيها وجعلها مع ذلك في مواضع النزهة يأنس برؤيتها حتى النساء والولدان. نعم ينتظر أن تتعب فرنسا في تذليلهم كما تعبت في الجزائر ولكن العاقبة للمتقين كما قال الله تعالى والتقوى تفسر في كل مقام بحسبه فهي تفسر في باب الحرب والصدام باتقاء أسباب الانكسار والخذلان ولا شك أن فرنسا هي المتقية ما يجب اتقاؤه في هذا المقام بالتدبير التام واعداد ما تستطيع من قوة كما أمر الله تعالى

ومن التدبير الذي يتخذه العقلاء ولا يدري به الجهلاء وهو من قبيل السيل يضرب جلمودا بجلمود ايقاع الشقاق بين الزعماء في المغرب وما وقف ذلك عند حد الخارجين على السلطان والحاربين له بل قامت طائفة عظيمة من الامة فبايعت

بالملك مولاي حفيظاً (أو عبد الحفيظ) أخا السلطان عبد العزيز بفتوى من العلماء فصار في البلاد سلطانان سيحارب كل منهما الآخر فيكفون فرنسا شر قوة البلاد

يظن كثير من الناس أن السلطان عبد العزيز سيلجأ الى فرنسا لتحفظ له سلطانه وتكفيه شر أخيه كالجأ توفيق باشا الى انكلترا في إبان الثورة العرابية وبذلك تحتل فرنسا بلاد مراكش احتلالا رسميا يسمى موقتا وتعمل عملها فيها باسم السلطان كما تحكم تونس باسم الباي وهذه هي الطريقة التي استقر عليها رأي ساسة أوربا في استعمار بلاد المسلمين لان حكمهم باسم أمرائهم وملوكهم أقرب الى السلام وأبعد عن النزاع والخصام

انه ليحزننا أن نرى مملكة اسلامية في الشقاء الذي أحاط بمملكة مراكش ولا يسرنا أن تبقى على ماهي عليه أو على ما كانت عليه اذا كان ما انتابها الآن مبدأ للانتقال من حال الى حال

وأنه ليحزننا أن يكون انتقالها بثورة الأجانب لا بتدبير رجالها وحكمتهم ولكننا لا نرى منقذا لجيلها من خيبة الصفقة رجاء في أولئك الرجال الجهلاء فباطلما نصحنا لهم وأنذرناهم البطشة الكبرى (٥٤ : ٣٦ فتماروا بالنذر) بل كان مثلنا ومثل سائر الناصحين معهم (٢ : ١٧١ كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون)

ان أهل العقل والعلم من طلاب الإصلاح المسلمين تتمنى قلوبهم لو يدوم لسلطنة مراكش استقلالها ويتحول طوفان أوربا عنها حتى يكون اصلاح حالها من نفسها ولو بعد حين ولكن عقولهم تحكم بأن هذا شيء لامطمع فيه وتدرك ان من العدالة العامة في الاكوان ومن سنن المبدع في اجتماع الانسان أن يقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق (راجع سورة الانبياء ٢١ : ١٨) وأن الارض يرثها عباد الله الصالحون أي لعمارتها (راجع آية ١٠٥ من السورة المذكورة) ولا شك أن العلم بالنظام وبطرق العمران وتأمين السكان من الحق وهو مما يقوم به الاوربيون وان ما عليه المغاربة من ضد ذلك هو من الباطل . وان الاوربيين يعدون بالنسبة الى المغاربة من الصالحين لاستعمار الارض الذي امتن الله علينا به كما قال تعالى

(١١ : ٦١ هو أنشأكم من الارض واستعمركم فيها) فكان الكتاب العزيز مؤيداً لحكم العقل في وجوب زوال استقلال المغاربة وكل دولة لا تحسن الاستعمار ولا تقيم النظام الآن تتوب وتقيم الميزان بعد الاستعداد له بما تقتضيه حال الزمان ، ولا يظهر صدق الآية الكريمة في أرث الارض الا بهذا التفسير ولنا فيه سلف صالح فهو منقول لا مخترع

إن حكم الفرقان والقرآن بأن دول العلم والنظام والاستعمار هي التي تسود على دول الجهل والخلل والافساد في الارض هو الذي يخفف من ألم حسرة العقلاء على زوال استقلال دول المسلمين ولا أقول دول الاسلام فان من يقضي القرآن بزوال دولته لا تكون دولته اسلامية ولكن قد تكون مسلمية و بهذا تبرىء الاسلام بحق من مناقضة أصول العمران العلمي ونجعل ذلك على أعناق المسلمين

﴿ غرور متعلمي اللغات الاوربية ﴾

ان أصحاب العقول الصغيرة من متعلمي اللغات الاوربية يتخيلون ان كل من تلقف لغة منها صار من [illegible] ولكن هؤلاء المتعلمين يعدون بالألوف ولا تكاد [illegible] أنه بكتاب يفضل به غير العارفين بهذه اللغات وانا نرى أكثرما يكتب كاليوم في الجرائد أوغيرها في منتهى السخف وضعف الفكر والسبب في هذا أن اللغة الاوربية وسيلة للعلم وليست هي عين العلم ولا عين العقل الذي لا علم بدونه ولا فهم

اذا وجد في متعلمي هذه اللغات أفراد كفتحي باشا زغلول وقاسم بك أمين لهم آثار في الترجمة والتصنيف تدل على أنهم استفادوا من اللغة الأوربية علما و بصيرة فانه يوجد فيهم ألوف لم يستفيدوا الا الغرور والتبجح والدعوى ومنهم من أضاع ثروته الموروثة وأهان نفسه وذوي قرابته بسوء سيرته وما كانت اللغة الاجنبية التي يعرفها الا عوناً له على اضاعة ماله وشرفه ثم هو يفاخر باللغة وعلومها و يحتقر علوم العربية من دينية وغيرها و يحط من قدر أهلها

للاستاذ الامام آثار جليلة كتبها قبل ان يتعلم اللغة الفرنسية كمقالات الوقائع المصرية ومقالات العروة الوثقى وقد كان ما يكتبه بعد تعلم هذه اللغة أدل على

كثرة الاطلاع والسعة في العلم ولكن هل يوجد في هؤلاء الألوف من المتعلمين من يستطيع أن يكتب مثل تلك المقالات التي كان العالم يهتز لها حتى ان انكلترا ذات الحرية الواسعة منعت العروة الوثقى من مصر والهند . ولا غرو فان العقول التي وسعت دائرة العلوم باللغات الأوروبية حتى صارت هذه اللغات تتعلم لأجل ذلك يوجد مثلها في الأمة العربية وفي غيرها من الأمم . وقد كان السيد الكواكبي غير عارف باللغات الأوروبية ولكن ما كتبه في الاستبداد لا يوجد في فلاسفة أوربا كثيرون يكتبون أحسن منه أو مثله بله الذين يعرفون لغات أوربا وليس لهم من علومها سهم يعتد به .

وما لي لا أضرب لهؤلاء المغرورين الأمثال الابين ما أوا فهذا رفيق بك العظم فليأتوا بكثير من مثله من متعلمي اللغات الأوروبية . وهذا صاحب جريدة المؤيد لا يختلف عاقلان في تفضيل ما يكتبه وهو لا يعرف لغة أجنبية على ما يكتب صاحب جريدة اللواء العارف باللغة الفرنسية .

فليخفض المغرورون برطانة اللغة الأجنبية من غرورهم فان الناس تتفاضل بالعقول لا باللغات فذو العقل الكبير قد يقتبس العلم من الوجود كما اقتبسه جميع الفلاسفة وان العاقل الشرقي من موارد العلم الغربي كتباً كثيرة ومجلات مترجمة يستفيد منها مالا يستطيع صاحب العقل الصغير ان يستفيده من ينابيعها وأصولها .
ثم ان صاحب العقل الكبير اذا اطلع على تلك الأصول يكون أوسع طاقة قبل الاطلاع عليها وان الأمم الشرقية لا تستغني عن طائفة من الأذكياء يقرءون لاقتباس تلك العلوم من لغاتها ونقلها الى قومهم كما أنها لا تستغني عن طائفة يحيون لغتها وعلومها الدينية والأدبية والتاريخية ولا يجوز تفضيل أفراد إحدى الطائفتين على الأخرى لان كلا منهما يخدم الأمة بما لا بد لها منه فان جاز التفاضل كان تفضيل من يشتغل لإحياء الأمة بمقوماتها الاصلية من اللغة والدين والعلوم على من يجلب لها علوماً من غيرها أظهر لان فقد العلوم الاجنبية عنها نقص وفقد مقوماتها الذاتية موت وفناء .

فهل بقي بعد هذا البيان من عذر لبعض الأغرار المغرورين بما تلقفوا من العلم الناقص بلغة أجنبية في تنقيص العلماء بدينهم ولغتهم وتاريخهم اذا كانوا لا يرطنون معهم بتلك اللغة

على ان وراء العلم الذي تعد اللغات وسائل له أمرا آخر هو مناط الافادة بالعلم لمن يحصله وهو مكارم الأخلاق كالصدق والإخلاص والاستقلال والعزيمة والشجاعة والعفة وغير ذلك من الفضائل فاذا أغضينا عن الذين يتعلمون بعض لغات العلم ولا يستفيدون من العلم نفسه الاحثالة من قشوره ونظرنا في حال الذين يقال انهم أوتوا نصيبا من العلوم نجد الكثيرين منهم قد شغلتهم أشهواتهم وأهواؤهم عن بث ما استفادوا في قومهم وعن الاستزادة منه وعن العمل به على الوجه النافع فالعلم لأمثال هؤلاء كالسيف في يد المجنون يخشى ضره ولا يرجى نفعه للأمة

﴿ حياة المعارف في مصر ﴾

دخلت المعارف بمصر في حياة جديدة على عهد سعد باشا زغلول فأسس مدرسة القضاء الشرعي التي وضع مشروعها الاستاذ الامام وستفتح أبوابها للطالبين الذين نجحوا في الامتحان في الشهر الآتي وهذه أعظم خدمة للاسلام في هذا العصر وأعاد التعليم المجاني وجعل من المزايا لمن يتعلمون من التلاميذ [illegible] فكثيرهم يتعلمون مجانا وينفقون في المدرسة ومنهم من يأخذ [illegible] من تلاميذ مدرسة المعلمين الخديوية وأرسل البعوث الى أوربا لتلقي العلوم العالية في انكلترا وبثها في البلاد بعد عودتهم فائزين ان شاء الله تعالى وهذه البعوث أكثرها من الذكور وبعضها من الاناث وقد انتقد ارسال بعض البنات الى أوربا من اتخذوا تقبيح أعمال الحكومة دلائل على حبهم الوطن وأهله لعلمهم أن السواد الاعظم لا يزال من الجهلة الذين يعدون تعليم البنات من المنكرات فهم يحتجون على قبح ارسال البنات الى أوربا بكونه مخالفا لرأي الامة ولو أن الحكومة اتبعت رأي الامة من عهد محمد علي الى اليوم لما تعلم أحد من أبنائها ولا بناتها كلمة في غير تلك الكتاتيب القديمة والازهر

ان جميع عقلاء الامة العارفين بما ينفعها ويضرها متفقون على ان تعليم البنات ركن من أركان الحياة أو شرط لحصولها أو كمالها ثم انهم مختلفون في قدر ما ينبغي أن تتعلمه البنات، ورأي كثير من المعتدلين أن التعليم الابتدائي كاف لهن وانه لا حاجة أو لا ضرورة الى تعليمهن لغة أجنبية . ولكن هذا الرأي خاص بالتعليم العام وهو لا يعارض وجوب تمييز من تتعلم لتكون معلمة في المدارس على سائر

الكمالات فإن من لا يتجاوز علمها ما يلقى في المدارس الابتدائية لا تصلح أن تكون معلمة فيها . ثم إننا ما دمنا عالة على الافرنج في علومنا ومدنيتنا وما دام أمر حكومتنا ومنها ادارة معارفنا في أيديهم أو تحت اشرافهم فلا بد لنا من معلمين ومعلمات من أهل العلم الاوربي الذين يتلقونه من معدنه عن أهله بلغته حتى لا تقوم علينا حجة القوم بأنه ليس فينا أكفاء يتولون التعليم لا سيما تعليم البنات . فارسال بعض البنات اللواتي يرغبن هن وأولياؤهن بأن يكن معلمات في المدارس الى أوربا لتلقي العلوم فيها هو الوسيلة الى اغناء نظارة المعارف عن المعلمات الاوربيات لا وسيلة سواها وينبغي أن يخترن من البيوت التي حسنت تربيتها بالدين والأدب

على أن الامة اذا سرت فيها الحياة المعنوية سريانا تاما فانه لا بد أن يوجد فيها من البنات من ينهض بهن استعدادهن الى تلقي العلوم العالية وليس من اعتدال المعتدلين أن يمنع هؤلاء من ذلك بعد العلم بصدق الرغبة وقوة الاستعداد فقد كان في الامة الاسلامية أيام حياتها الاولى كثيرات من المشتغلات بالعلوم الكمالية التي هي من فروض الكفايات التي لا يقوم بها الا بعض الرجال حتى رواية الحديث بالاسانيد والتصدي للتحديث

خطبة الشيخ محمد شاكر وتنديده بلورد كرومر

أرسل الينا الشيخ محمد شاكر شيخ علماء الاسكندرية خطبته التي قرأها في مجمع الاحتفال بتوزيع المكافآت على نجباء الطلبة فاذا هو قد اقتبس في فاتحتها معنى بعض آيات الجهاد واذلال الله الجبابرة للمجاهدين وإيراثهم أرضهم وديارهم حتى كأنها خطبة قائد جيش فتح أو يحاول فتح الممالك وقد بينا رأينا في الخطبة من خمس جهات — كونها من عالم رسمي وكونها من رجل يعد من بطانة الأمير والمقربين منه وكون التنديد بكلام لورد كرومر تأخر عن وقت الحاجة وكونه جاء بعد تصريح اللورد بأنه لم يرد فيما كتبه عن مبادئ الجامعة الاسلامية الدين الاسلامي نفسه فهذه أربع والخامسة قيمة كلام الخطبة في نفسه وهل يصلح دفعا للشبهات التي تضمنها كلام اللورد على الفقه الاسلامي كما قال أو على الاسلام كما يريد الشيخ شاكر وأمثاله ؟ ولكن هذا الجزء لم يتسع لما كتبناه فاشرنا اليه بهذه الكلمات